إنسان صح

إنسان صح

دليل الشاب المسلم للتحرر من قيود المعاصي

عبد الرحمن ضاحي - مصطفى اللبودي


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له.

أما بعد:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، بذلك الدستور الربَّاني حدَّد الله وجهةَ كل عبدٍ في هذه الدنيا، ووضع له المسار والعلاقة التي تربطه بخالقه، فمن عَبَد الله وأَطاعَه فيما أمر وبعُد عمَّا نهىٰ؛ كان هذا سبيل فلاحه، ومن عصاه وظلم نفسه وشرد عن الطريق والمسار؛ خسر دنياه قبل آخرته. فهو عزَّ من قائل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ

ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٤، ٧٥]. والمعادلة في خواتيم سورة النازعات وضَّحها سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

ومِن حكمته سبحانه أنه حَجَبَ سبيل الفلاح بالمكاره وجهاد النفس، وحَجَبَ سبيل الهلاك بالفتن والشهوات ومحبوبات النفس، فقد قال ﷺ: «**حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**»[1]؛ وللتغلب علىٰ تلك الشهوات ومحبوبات النفس، والنجاة من طريق الهلاك طرق وأساليب ورياضة للجسد والقلب، يتعثَّر البعض في توبته أو يجد صعوبةً في الإقلاع عن معاصيه، إما لجهله بها، أو تكاسله عن فعلها؛ لذا خصَّصنا هذا البحث المبسَّط لنتناول فيه تلك الأساليب والطرق لتكون دليلًا سريعًا وشافيًا لمن سلك سبيل الهداية وأقلع عن طريق المعاصي.

والمعاصي أنواع: منها إطلاق البصر، والربا، وأكل مال اليتيم، .. إلخ، ولكن في هذا البحث قد ركَّزنا الاهتمام علىٰ المعاصي الشبابية التي عادةً ما تتكرر الشكوىٰ منها، وتأتي الأسئلة كثيرًا منهم لحلِّها والمساعدة في تركها.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٢٣).

ويأتي تخصيص هذا البحث لفئة الشباب من باب أنهم عماد الأمم ورأسمالها، وأول ما يبدأ إفساده من قِبَل أعداء الأمة، كما أن الشباب هي مرحلة «الإنتاج» وأخصب مراحل العمر؛ لذا قال فيها النبي ﷺ: «**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**»[(١)]، فانظر كيف خصَّ رسول الله ﷺ فترة الشباب من عمر الإنسان، بالرغم من ذكر العمر كله في أول الحديث، وذلك للتأكيد علىٰ أهمية هذه الفترة.

لذا نجد المكافآت الربانية تنهال علىٰ الشاب الطائع في الدنيا قبل الآخرة، ولِمَ لا؟! وقد حبس شهواته، وروَّض نفسه الأمَّارة بالسوء، وحفظ جوارحه عن الحرام؛ وجزاءً لذلك هو في ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله،** . . »[(٢)]، وكما أن الله يجازيه في الآخرة، فقد حفظ له مكافأته في الدنيا أيضًا، وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧).

(٢) رواه البخاري (٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١).

طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقد حصرنا بفضل الله باجتهاد أغلب مشكلات الشباب التي تحول بينه وبين الاستقامة، واتَّبعنا في البحث منهجيةً واحدةً لكل تلك المعاصي، وهي توضيح حكمها الشرعي، ثم بواعثها، ثم تبيان آفاتها، ثم وضع الحلول والعلاج، فنأمل أن نكون قد وفِّقنا في ذلك، نسأل الله القبول والإخلاص والنفع به.



«قبل أن نبدأ»

قبل أن نبدأ، حتىٰ يكون لذلك البحث فائدةٌ وأثرٌ، ولا يكون مجردَ جمعٍ للمعلومات، لا بدَّ من شرطين أساسيين:

أولًا: تنفيذ ما نتفق عليه من علاجٍ؛ لأنه لا يُعقل أن يظل المريضُ منتظرًا الشفاء وهو لا يأخذ الدواء.

ثانيًا: الصبر علىٰ العلاج، وعدم الاستعجال، والمثابرة علىٰ النهوض في حال السقوط، فهذه سُنة ربَّانية أن مَنْ صَبَرَ وجاهدَ نفسه؛ سوف يهدِهِ الله لما يريد، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **[العنكبوت: ٦٩]**.

فالذهب يلزمه حين يستخلص منه شوائبه أن يُفتن بالنار كي يتمَّ سَبْكه وتنقيته، وكذلك القلب، فإنه مثل قطعة الذهب المليئة بالشوائب، والصبر وجهاد النفس هو النار التي نسعىٰ بها لتخليصه من الشوائب كي يكون قلبًا ذهبيًّا طائعًا لله.

تَرْكُ الصلاة

حينما تسمع قول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: «**قم يا بلال فأَرِحْنا بالصلاة**»[1]. تستشعر وكأن كل معاني الطمأنينة قد تجمَّعت في هذه الكلمات القليلة المُعبِّرة، لتُحيط بقلب المصلي؛ فهو يقف بين يدي ربه خاشعًا خاضعًا منكسرًا راجيًا، يسأله أن يستجيب له دعاءه، وييسر أمره، في حوار بين العبد وربه، لا يستشعره إلا من ذاق طعمه؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**وجُعل قُرة عيني في الصلاة**»[2].

فهي الفرحة الحقيقية، والسعادة الروحانية للعبد، والطمأنينة الأبدية للجوارح والأركان، وهي الدواء السريع الشافي لكل الهموم والأحزان؛ فقد كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ صلَّىٰ[3]،

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٦٤)، وأبو داود (٤٨٩٦).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٣٩٣٩).

(٣) رواه أبو داود (١٣١٩).

وهي الفريضة التي فُرضت في السماء، حينما عُرِجَ بالنبيِّ ﷺ إلىٰ السماء ليسمع الأمر من ربه بفرضية الصلاة علىٰ الأمة، ما يدل علىٰ عظمتها وسموّها، بينما فرضت باقي الفرائض في الأرض.

وهي عمود الدين، فمن تركها فقد انهدم دينه؛ فقد قال النبي ﷺ: «**ألا أدُلّك علىٰ رأس الأمر وعموده وذروة سنامه** -ثم ذكر فقال:- **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة** . . .»[1].

وهي أمر من الله للأمة في أكثر من موضع في القرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] بل هي آخر وصايا النبي ﷺ للأمة أجمع، قال: «**الصلاة الصلاة** . . .»[2].

لكن للأسف الشديد تجد من أبناء الأمة الإسلامية مَن يتهاون في أمر الصلاة؛ فمنهم من لا يُحسن قيامها وركوعها وسجودها، ومنهم مَن يترك بعضها، ومنهم من يتركها بالكلية، ولو علموا ما فيها من سعادة في الدنيا والآخرة وسِعة الرزق ورضا الرب سبحانه ما فرطوا فيها.

واستهللنا البحث بتلك المعصية لما لها من أهمية في الدنيا والآخر؛ فهي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، كما أخبر

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١).
(٢) رواه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأحمد (١/ ٧٨).

بذلك النبي ﷺ حين قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْهَا شَيْءٌ، قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ؟ ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَىٰ حَسَبِ ذَلِكَ**»[1]. كما أن باجتيازها يُسهِّل اجتياز باقي المشكلات بمشيئة الله وعونه.

○ **الحُكم:**

قال تعالىٰ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] وقال ﷻ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

أما رسول الله ﷺ فقال: «**بين الرجل وبين الشرك والكُفر: ترْك الصلاة**»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كَفر**»[3].

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٦)، وابن ماجه (١٤٢٦)، وأحمد (٤/ ١٠٣)، والدارمي (١٣٥٥).

(٢) رواه مسلم (٨٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٦).

والمشهور من مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ أن تارك الصلاة يُكفَّر ويُقتل ردةً، وهذا هو المنقول عن أصحاب النبي ﷺ. وذهب مالك والشافعي -رحمهما الله- إلىٰ أنه لا يكفَّر، ولكن يُقتل حدًّا ما لم يُصلِّ. وذهب أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ إلىٰ أنه لا يكفَّر، وأنه يُحبس حتىٰ يصلي.

وقال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: «فروينا عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُمْ، وعن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية -رحمة الله عليهم-، وعن تمام سبعة عشر رجلًا من الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُمْ، أن من ترك صلاة فرض عامدًا ذاكرًا حتىٰ يخرج وقتها فإنه كافر مرتد»[1].

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله جل وعلا: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]: «وهو ذمٌّ ونصٌّ في أن إضاعة الصلاة من الكبائر التي يوبق بها صاحبها، ولا خلاف في ذلك، وقد قال عمر: ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيَع»[2].

---

(١) «الفصل في المِلل والأهواء والنحل» لابن حزم (٣/ ١٢٨)، طبعة الخانجي - القاهرة.

(٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ١٢٢)، طبعة دار الكتب المصرية، ط٢.

فأهل العلم في خلاف في أمر تارك الصلاة تكاسلًا، إما بالكفر أو الفسوق، فلماذا يضع أحدنا نفسه في ذلك المأزق؟!

○ **البواعث:**

١- **غصون لم تقوَّم!**

ويـنـشـأ نـاشـئُ الـفـتـيـان مـنـا
عـلـىٰ مـا كـان عَـوّدهُ أبـوهُ
ومـا دان الـفـتـىٰ بِـحِـجـىٰ ولـكـنْ
يُـعـلّـمـهُ الـتـديّـنَ أقـربـوهُ

التنشئة الأسرية لها عامل كبير في تشكيل سلوك الإنسان ومعتقداته، وتفريط الوالدين في ذلك الأمر خاصة في الصغر له انعاكاسات غير محمودة العواقب علىٰ الشخص، لذلك وصَّىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في أمر واضح: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر . . .**»[١]. فالنبي يدرك قيمة وأهمية التربية الإيمانية المبكرة وكيف أن من الصعوبة بمكان تعديل سلوك الفرد بعدما تيبست أغصانه وصلب عوده ولم يعود علىٰ ذلك التوجيه الرباني بالصلاة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥).

وبعض الآباء يفرط في ذلك الأمر، فلا يتابعه في صلاته؛ بل ويستهين بتعليمه إياها بالكلية، أو أنه لا يتذكَّر توجيهه إلا بعد ما كبر ولم يتعود علىٰ الصلاة فصار الأمر عبئًا وثقلًا عليه.

قد يبلغُ الأدبَ الأطفالُ في صغر

وليس ينفعهُم من بعدِه أدبُ

إن الغُصُونَ إِذا قَوَّمْتَها اعتدلْت

ولا يلينُ إِذا قَوَّمْتَهُ الخَشَبُ

٢- البيئة المحيطة:

بيئة الإنسان تؤثِّر عليه وتصنع سلوكه وتشكِّل تصرفاته، وهذا ما أوقع الكثير من المشركين في الكفر -والعياذ بالله- وقتما بُعث النبي عليه الصلاة والسلام بالرسالة، البيئة المحيطة بهم منعتهم من الإسلام، رغم علمهم يقينًا أنه رسول الله، وقد بُعث بالرسالة من الله، فهذا عمُّ النبي عليه الصلاة والسلام -أبو طالب- اختار الشِّرك ونطق أنه علىٰ (ملَّة عبد المطلب) لما كان يحوطه المشركين محاولين صده عن محاولة النبي الأخيرة لدعوته للإسلام، وهذا حُيي بن أخطب وأخيه لما رأوا النبي عليه الصلاة والسلام وتيقَّن أنه النبي المرسل من الله، يقول أحدهما للآخر: أهو هو؟ -يقصد النبي-؟!، قال: نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال:

عداوته والله ما بقيت! فبالرغم من تحققه وتيقنه من أنه النبي المرسل، إلا أنه سيعاديه وسيُعرض عن طريق الحق متعمدًا بسبب أن البيئة المحيطة له لا تتحمل خبر إسلامه.

وفي وقتنا الحالي شيء شبيه بما حدث لأبي طالب وحُيي بن أخطب، ولكن بشكلٍ مصغَّر، وهو أن تجد مسلمًا مُعرضًا عن طريق الصلاة، ومفرطًا في حقها، رغم علمه اليقيني أنها طريق الفلاح والسعادة، وأنه بتفريطه بها سلك طريق الهلاك، كل ذلك بسبب نظرة البيئة المحيطة له بأن محافظته علىٰ الصلاة ستضعه في إطار معين وهو (الشيخ) أو (المطوع) تلك الصورة التي لا يُحبذها الشباب لإثبات شبابيته، ويرىٰ أنها نموذج مقيد وغير محبوب.

والإنسان بطبيعة خلقه وحكم بشريته يتأثر بمن يحوطونه، ويكتسب أخلاقه وعاداته منهم، ولقد جسَّد ذلك محمَّدٌ ﷺ بقوله: «**المرء علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(١)، وقد يُعرِض الشاب عن الصلاة لذلك السبب، مع كامل تيقُّنه أنها طريق الفلاح والسعادة!

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

٣- **الجهل بثوابها:**

الصلاة لها شأن عظيم في دين الإسلام، ولو عَلِمَ تاركها ما فيها من الفضل والعظمة والشرف ما تكاسل أو غفل عنها؛ فهي كفارة للذنوب والمعاصي؛ قال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**»(١).

وأداؤها في وقتها هو من أحب الأعمال إلىٰ الله؛ فقد سُئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: «**الصلاة علىٰ وقتها**»(٢).

أضف إلىٰ ذلك الثواب العظيم الذي يناله المصلي في اليوم والليلة؛ فقد قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات**»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخُطَا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»(٣).

وقال النبي ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد علىٰ صلاته**

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥١).

في بيته، وصلاته في سوقه، بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتىٰ المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخطُ خطوة إلا رُفع له بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة، حتىٰ يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون علىٰ أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلىٰ فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذِ فيه، ما لم يُحْدِث فيه»(١). فتأمل ما للمصلي من الثواب العظيم بكل خطوة يخطوها إلىٰ المسجد.

وإليك أخي الجائزة الكبرىٰ لأهل الصلاة في الآخرة؛ حيث قال النبي ﷺ: «**من غدا إلىٰ المسجد أو راح، أعدَّ الله له نُزُلًا في الجنة كلما غدا أو راح**»(٢). أي أن المصلي كلما ذهب إلىٰ المسجد أو رجع، أعدَّ الله له مكانًا في الجنة كلما ذهب ورجع، وكثيرة هي فضائل الصلاة التي نحتاج إلىٰ كتابة بحث آخر مع هذا البحث، حتىٰ نبين قدرها وعظمتها. والجهل بذلك الثواب العظيم باعث كبير لصاحب التفريط لتركها.

---

(١) رواه البخاري (٢١١٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

٤- الانشغال بالدنيا:

كثير من الناس لم يستقم عندهم مفهوم العبودية لله، فهو بالرغم من إيمانه بالله وإيمانه أنه خلقنا للعبادة يقدِّم الدنيا علىٰ الآخرة، ويقدم أمور الدنيا علىٰ الصلاة، سواء أمور الرزق أو أي أمور أخرىٰ لها علاقة بالدنيا.

فلما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ **[الذاريات: ٥٦]**، أكَّد بعدها علىٰ عدم الاهتمام بأمور الدنيا وتفضيلها علىٰ الآخرة بقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ **[الطلاق: ٢، ٣]**، فبعد كل تلك التوجيهات الربانية بضمان الرزق تجد من يصر علىٰ ترك الصلاة من أجل انشغاله بأمور الرزق والدنيا، وقد قال أحد السلف تعليقًا علىٰ ذلك الحال: «رجاؤك رحمة مَن لا تطيعه خذلان وحمق». وكذلك رجاؤك بركة الرزق ممن لا تطيعه خذلان وحمق.

٥- حجج واهية:

البعض يركَن إلىٰ حجج واهية كي يتخذَ منها مسوِّغًا لتركه للصلاة؛ لذا ينبغي أن نُبيِّنها ونرد عليها:

أ- ربك رب قلوب:

تارك الصلاة يقول لك أحيانًا إن الله رب قلوب، وأهم شيء هو القلب؛ فلا يلزم أن أصلي، بل ويحتجُّ بحديث النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم ولا إلىٰ أجسامكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم**»[1].

الرد: صحيح أن القلب هو أهم شيء في الجسد؛ فالقلب أمير البدن، ولكن النبي ﷺ جعل دليلَ سلامة القلب هو سلامة الجوارح، وسلامة الجوارح تكون بالطاعة؛ فقال ﷺ: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[2]. إذًا فالمعادلة واضحة: (جوارح فاسدة تساوي قلبًا فاسدًا). ولما سُئِل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان، قال: «**ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي**»[3].

ب- صلاتي غير مقبولة:

يقول أحدهم: لا أصلي لأنني أشعر أن صلاتي غير مقبولة؛

(١) رواه أحمد (٧٨٢٧)، ومسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) رواه الديلمي (٥٢٣٢)، وابن بشران (١٢٢٤).

لذا فلا فائدة من أدائها. وهذه حُجة باطلة ليست مسوغًا مقبولًا لترك الصلاة.

الرد: هذا الأمر يحتاج منك إلىٰ شيئين:

أولهما: أن تؤدي الصلاة بخشوع وتفكُّر، وتقيم ركوعها وسجودها كما ينبغي دون إسراع ولا تفريط في أركانها وواجباتها، تقرأ الفاتحة متأملًا لمعانيها، وتركع لله مستحضرًا عظمته، وتسجد له مستحضرًا عظمته، وتدعوه بالخير والرشاد.

ثانيهما: أن تُحسن الظن بالله؛ فالنبي ﷺ يقول عن ربه: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ...**»[1]. فأحسِن الظن بربك أنه قد قَبِل منك صلاتك؛ بل وأثابك عليها، وبذلك يطمئن قلبك وينشرح صدرك، ولا تتركها أبدًا إن شاء الله.

جـ- أكون منشغلًا:

يقول البعض: إنني أكون منشغلًا في وظيفتي، والآخر يدَّعي أنه منشغل بتجارته، والثالث يزعم أنه منشغل بنشاطه.

الرد: قد بيَّنا في أمر الجهل بقدرها، وأمر الانشغال بالدنيا، ما يغنينا عن إطالة الكلام؛ فنقول: لو علمتم قدرها، وأن أمر

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الرزق بيد الله تعالىٰ، لقدَّمتم أمر الصلاة علىٰ أي شغل غيرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من حافظ علىٰ الصلاة كانت له يوم القيامة نجاةً ونورًا وبرهانًا، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له يوم القيامة نجاةً ولا نورًا ولا برهانًا، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأُبيّ بن خلف**»[1]. وهؤلاء قد شغلتهم أمور دنياهم عن دين الله؛ فلا يحب أحد أن يحشر معهم يوم القيامة**!** أعاذنا الله وإياك.



(١) رواه أحمد (٥٦٧٧)، وابن حبان (١٤٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٦٧) (١٦٣).

الآفـات

○ آفات في الدنيا:

١- قسوة القلب:

حياة القلب الحقيقية لا تتمثل فقط في الدماء المتدفقة إليه وخلاله، وإنما هناك حياة أخرىٰ هي حياة الروح، وهي تكمن في الذكر والصلاة والعبادة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فهذه الحياة تجعل القلب مطمئنًا هادئًا رقيقًا وعندما ينفك القلب عن هذه المقومات فإنه يقسو، بل يموت؛ لقول النبي ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) وهذا لفظ البخاري.

وتارك الصلاة حقًّا يفقد تلك المقومات، مقومات الحياة؛ فلا يذكر ربه ولا يصلي له، فيقسو القلب ويصير كالحجارة أو أشد قسوة، وتقسو الحياة ويموت القلب؛ فيتخبط في حياته كتخبط الأعمىٰ، ويتيه فيها توهان الحائر حتىٰ يصل الأمر به إلىٰ أنه لا يفرِّق بين الحق والباطل، بين الصحيح والخطأ، بين الهدىٰ والضلال؛ كما قال النبي ﷺ: «**تُعرض الفتن علىٰ القلوب عودًا عودًا، فأيما قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء، وأيما قلب أشربها نكت في قلبه نكتة سوداء، حتىٰ تصير القلوب علىٰ قلبين: قلب أبيض مثل جبل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، وقلب أسود مربادًّا كالكوز مجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا**»(١).

٢- ضيق الرزق:

لا يستطيع أحد أن يتخلىٰ عن قضية الرزق، فهي قضية أساسية في حياة بني البشر؛ بل هي ذلك الأمر الذي يكتب مع ابن آدم بمجرد نفخ الروح فيه، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ: «**ثم يؤمر الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه . . .**»(٢).

(١) رواه أحمد (٢٣٢٨٠)، ومسلم (١٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

فمن يستطيع أن يعيش بلا طعام ولا شراب أو عافية؟ فالكل يحتاج إلىٰ ذلك بلا خلاف، ولكن هناك من ينعم عليهم الله تعالىٰ بالرزق وهناك من يحرمهم منه، ومن مقدمات جلب الرزق: التقوىٰ، بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، قال الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وفي الوقت ذاته فإن المعصية سبب لحرمان الرزق، وبالتالي فإن تارك الصلاة لا يخرج من هذا الأمر مصداقًا؛ لقول النبي ﷺ: «**فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته**»[1].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ إِنْ كُنْتَ غَافِلاً

يَأْتِيكَ بِالأَرْزَاقِ مِنْ حَيْثُ لاَ تَدْرِي

فَكَيْفَ تَخَافُ الفَقْرَ وَاللهُ رَازِقٌ

فَقَدْ رَزَقَ الطَّيْرَ وَالحُوتَ فِي البَحْرِ

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِقُوَّةٍ

مَا أَكَلَ العُصْفُورُ شَيْئًا مَعَ النِّسْرِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، وهناد بن السري في «الزهد» (٤٩٤)، والبيهقي في «الشُّعب» (٩٨٩١).

لكن لسائل أن يسأل: فما بال كثير من تاركي الصلاة يمتلكون الأموال والعمارات والسيارات؟!

هذا شيء صحيح بالفعل ولكنه يُنم عن أمر خطير، وهو الاستدراج والعياذ بالله، تدري ما الاستدراج؟! قال النبي ﷺ: «**إذا رأيت الله ينعم علىٰ العبد وهو مقيم علىٰ معاصيه فاعلم أنما هو استدراج**»[1].

فتجد من العُصاة من هم يَلِجُون في المعاصي ليل نهار، ومع ذلك فإن نعم الله عليهم لا تنقطع، ليظنوا بذلك أن الله راضٍ عنهم، فلا يتوبون ولا يذكرون، حتىٰ يأتيهم عذاب الله وهم علىٰ هذه الحال؛ فلا يستطيعون توصية ولا إلىٰ أهلهم يرجعون، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

٣- تعسير الأمور:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، قال ابن عباس ﭬ: «أي الشقاء»[2]. وقال ابن كثير

(١) رواه أحمد (١٧٣١١)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٧٢).

(٢) «تفسير ابن جرير» (١٦/ ١٩٣).

في تفسيرها: «﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: أي خالف أمري وما أنزلته علىٰ رسولي، وأعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هُداه، فإن له معيشة ضنكًا: أي ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره؛ بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعَّم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يَخْلُص إلىٰ اليقين والهدىٰ فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة»[1].

فتارك الصلاة لا يقدم علىٰ أمرٍ من أمور الدنيا إلا وقد أغلقت الأبواب في وجهه، وسدت الطرق أثناء سيره، وضاق الأفق أمام مرآه؛ وذلك لأن الله قصر وحصر تيسير الأمور في قواه ونسي التقرب لمن أعطاه تلك القوىٰ!

٤- رد الدعاء:

قال أحد السلف كما سبق: «رجاؤك رحمة مَن لا تطيعه خذلان وحمق». وهذا أمرٌ طبيعيٌّ، فلو أنك تعمل موظفًا في شركة، لكنك تأتي متأخرًا، ولا تقوم بعملك كما ينبغي، فهل تأمل إن قابلت مدير الشركة أن يستجيب لأي من احتياجاتك؟! بالطبع لا!.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٢٢، ٣٢٣).

ولله المثل الأعلىٰ، فإن مَن ترك الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام، ثم أقبل عليه يدعوه ويرجوه فإن الله لا يستجيب له ولا يوفقه؛ لأن الله قال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٦] قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «أي: ويستجيب الله الذين آمنوا، أي: يقبل عبادة من أخلص له بقلبه وأطاع ببدنه، وقيل: يعطيهم مسألتهم إذا دعوه»[١].

فمن يستجيب الله دعاءهم، من آمنوا بالله تصديقًا وإقرارًا وعملًا بالصالحات، وتارك الصلاة ليس منهم.

○ آفات في الآخرة:

١- الحساب العسير:

عن عائشة، قالت: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن يُنْظَرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيُتَجَاوَزُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ**»[٢]. تخيل معي ذلك المشهد الذي تشيب له الرؤوس حينما تقف بين يدي ربك يوم القيامة أمام كل الخلق؛ إنسهم وجنهم، من

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٢٧٠).

أول آدم إلىٰ أن انتهوا، ويسألك الله عن عمرك فيما أفنيته؟ وعن شبابك فيما أبليته؟ وتشهد عليك جوارحك بتركك للصلاة، حينما يقول الله لكَ: لِمَ تركت الصلاة وقد أمرتك بها؟ أكنتُ عليك هينًا؟ أستهونت بلقائي؟! قد أنعمت عليك بنعمة المال والصحة، فلمَ عصيتني بتلك النعم؟ وقد أنعمت عليك بها لتؤدي شكرها بعبادتي؟! عندما لا تجد أجوبة علىٰ تلك الأسئلة تستشعر معنىٰ حديث النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ**».

٢- أودية الهلاك:

توعّد الله تارك الصلاة أو المتكاسل عنها بثلاثة أودية في جهنم والعياذ بالله، وهي وادي غَي، ووادي سَقر، ووادي وَيل؛ قال تعالىٰ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]، وقال ﷻ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩]: «هو وادٍ في جهنم»[1]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٧٣).

تفسيره لآية ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]: «هو الطبق السادس لجهنم»[١]. وقال ابن عطية: «هو الدرك السادس في جهنم»[٢].
وجمهور العلماء علىٰ أن ﴿سَقَرَ﴾ يُرادف جهنم، وفي أضواء البيان قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمزة: ١]: «وقيل: ﴿وَيْلٌ﴾ هو وادٍ في جهنم»[٣].

والخلاصة: مَن يستطيع أن يتحمل يومًا واحدًا في جهنم؟! بل مَن يستطيع أن يتحمل ولو غمسة واحدة فيها -أعاذنا الله-؟! بل إن تارك الصلاة له عذاب من نوع خاص قد ورد في صحيح البخاري ﷺ، فاقرأ هذا الحديث المَهِيب وتأمله جيدًا:

روىٰ البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأىٰ أحد منكم البارحة رؤيا**»؟ فيقص عليه مَن شاء الله أن يقصَّ، وأنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما انبعثا لي، وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا علىٰ رجل مضطجع وإذا آخر**

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٧٧).
(٢) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٩٥).
(٣) «أضواء البيان» للشنقيطي (٩/ ٩٩).

قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوىٰ بالصخرة علىٰ رأسه، فيثلغ رأسه (يشق رأسه) فيتدهده (يتدحرج) الحجر هاهنا، فيقع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه حتىٰ يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولىٰ، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق. فانطلقنا . . .

قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي (الملكان): أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه (يترك العمل به)، وينام عن الصلاة المكتوبة»[1].

○ العلاج:

١- قرار العودة:

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، بهذه البُشرىٰ نبدأ طريق العلاج لتلك المعصية، ولأي معصية أخرىٰ، ألا وهو قرار العودة وعدم استثقال قرار التوبة والعودة إلىٰ الله،

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٠٤٧).

فالله وعدنا بأنه يغفر ما تقدم من الذنوب، بل وعد بتبديلها إلىٰ حسنات في قوله:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، ولكن التوبة النصوح هي التوبة الممزوجة بالندم والاستغفار والعزم علىٰ عدم العودة إلىٰ ترك الصلاة.

وبذلك تجد السعادة في الدنيا والآخرة، حينما تعود إلىٰ ربك فيقبل توبتك، ويمحو زلَّتك، ويصلح عملك كله مصداقًا لحديث النبي ﷺ: «**إن أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتمها كُتبت له تامة، وإن لم يكن أتمها قال الله لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي مِن تطوُّع فتكملوا بها فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال علىٰ حسب ذلك**»(١).

٢- زيادة الحواجز:

بعد قرار التوبة يلزمنا أن نزيد الحواجز علىٰ الشيطان كي لا يوسوس لنا بسهولة في قرار العودة، فيلزمنا المواظبة علىٰ

(١) رواه أحمد (٩٤٩٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وأبو داود (٨٦٤)، وابن ماجه (١٤٢٦).

الصلاة في المسجد والإكثار من النوافل، كـ ركعتي الفجر، وأربع قبل الظهر واثنتين بعده، واثنتين بعد المغرب، واثنتين بعد العشاء، بحيث تصير تلك النوافل حواجز أمام الشيطان تشغله عن الوسوسة بترك الصلاة.

والنوافل جالبة لحب الله للعبد ولكرمه في الدنيا والآخرة، ففي الحديث القُدُسي: «**وما تقرَّب إلىٰ عبدي بشيءٍ أحبُّ إلىٰ مما افترضته عليه**»[1]، وفي الحديث القدسي أيضًا: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلىٰ بالنوافل حتىٰ أُحبه**»[2]. فما بالك بكرم الملك إذا أحب عبدًا!، كما أن المواظبة علىٰ النوافل سببٌ لزيادة الثواب في الآخرة؛ كما في صحيح مسلم عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما مِن عبد مسلم يصلي كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة، إلا بَنىٰ الله له بيتًا في الجنة، أو: إلا بُني له بيت في الجنة**»[3].

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٣)، والبخاري (٦٥٠٢) ولفظه: «**مما افترضت عليه**».

(٢) السابق.

(٣) رواه أحمد (٢٦٧٧٥)، ومسلم (٧٢٨).

٣- **رفقة الخير:**

فكما ذكرنا قبل في البواعث أن البيئة المحيطة هي سببٌ من أسباب ترك العبد للصلاة، فيجب في العلاج استبدال تلك البيئة بصحبة خير تُعين علىٰ الصَّلاة، وتشجِّع عليها، وتذكِّر بثوابها، فاختر لنفسك صاحبًا يتابعك في الصلاة، بحيث يتَّصل بك في وقتها، يصحبك معه إلىٰ المسجد، يذكرك بالله واليوم الآخر؛ فتقوىٰ عزيمتك، وتسمو همتك، وتداوم علىٰ الصلاة بإذن الله.

فقد أخرج الشيخان عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أن النبي قال: «**إنما مثلُ الجليسِ الصالح والجليسِ السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحاملُ المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخُ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[١]، فالحرص علىٰ مصادقة حامل المسك يجعلك في مصاف المحافظين علىٰ علاقتهم بالله، وتلك شهادة الكثير من الشباب أن صحبة المسجد هي سبب كبير في ثباته علىٰ الطريق وعدم انتكاسه، ولم لا؟! فتلك وصية النبي عليه الصلاة والسلام: «**المرء علىٰ دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

(٢) رواه أحمد (٨٠٢٨)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣).

٤- استشعار المعاني:

من طرق العلاج الناجحة، استشعار معاني الصلاة ودلالة حركاتها وأركانها، وعدم أدائها كحركات رياضية أو واجب لا بدَّ منه ليرتاح البال، والمتأمل في حديث رسول الله ﷺ: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»[(١)]. يعلم كيف أن حبها هو الدواء والشفاء والراحة؛ لذلك كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ فزع إلىٰ الصلاة[(٢)]، وكان يقول لبلال رضي الله عنه: «**قم يا بلال فأَرِحْنا بالصلاة**»[(٣)]. ولكن كيف نَصِل لهذه المرحلة التي قد يظن أحدنا أنها من الصعوبة بمكان؟!

سوف نستعرض سويًّا ذلك السبيل خطوةً بخطوةٍ، ولكن عليك التجريب العملي، ولا تكتفِ بالقراءة، وسنبدأ بأول لحظة تتجهز فيها للقاء مولاك سبحانه وتعالى؛ إنها لحظة الوضوء، حينما تتوضأ مستشعرًا أن الذنوب تتساقط من أظفار يديك، وشفتيك، وعينيك، وأذنيك، وقدميك، وكأنك تعود بلا ذنب، تصبح مُطَهَّرًا من

---

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، والنسائي (٣٩٣٩).

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩)، والبيهقي في «الشُّعب» (٢٩١٢).

(٣) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وأبو داود (٤٩٨٦).

الذنوب؛ كما قال النبي ﷺ: «**إذا توضأ العبد المسلم -أو المؤمن- فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء -أو مع آخر قطر الماء-، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء -أو مع آخر قطر الماء-، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء -أو مع آخر قطر الماء-، حتىٰ يخرج نقيًّا من الذنوب**»[(١)].

ثم تختم هذه اللحظة بقولك: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**»[(٢)].

كي تُفتح لك أبواب الجنة الثمانية، حينها يحق لك أن تقبل علىٰ الملك جل جلاله، الذي يحب أن يتوب عليك ويمنُّ عليك بفضله؛ لأنه يحبك ويحب أن تلقاه وهو عنك راضٍ.

فننتقل إلىٰ اللحظة الثانية، وهي لحظة استقبال القبلة بقلبك وبدنك، وطرح الدنيا كلها وراء ظهرك؛ لتخلوَ بحبيبك بعيدًا عن زخم الحياة ومشاغلها، فترفع يديك قائلًا: «الله أكبر».

(١) رواه مسلم (٢٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٥٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٦٩).

نعم، أكبر من كل شيء، أكبر من الدنيا والمال والأولاد والشهوات والأشغال، أكبر من المشاغل الدنيوية والجواذب السُّفلية؛ لأنه الخالق المستحق لذلك الإفراد؛ لذلك تقول إثر التكبير: «**سبحانك اللهم وبحمدك وتعالىٰ جدك ولا إله غيرك**»[1].

ثم تستعيذ بالملك سبحانه من الشيطان الرجيم؛ الذي يسعىٰ لأن يقطع عليك هذه الخلوة الربانية، فيذكرك بالدنيا وأشغالها، والتجارة وأوديتها.

ثم تُسمِّي الله، حتىٰ تدخل عليه سبحانه موفَّقًا، تقرأ عليه ما يحب، وهو يحب كلامه؛ فتقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فيرد عليك «**حمدني عبدي**»، ثم تقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، فيقول الله: «**أثنىٰ عليَّ عبدي**»، ثم تقول: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، فيقول الملك: «**مجدني عبدي**». ثم تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فيقول الكريم سبحانه: «**هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل**». فإذا قلت: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

---

(١) رواه أحمد (١١٤٧٣)، والترمذي (٢٤٢)، والنسائي (٨٩٩)، وأبو داود (٧٧٥)، وابن ماجه (٨٠٤).

عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] قال الله: «**هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»(١).

في حوار بين العبد وسيده تعجز الكلمات عن وصفه، والعقول عن تخيله، ثم تقرأ سورة محببة إلىٰ قلبك تتقرب بها إلىٰ مولاك سبحانه، ثم تركع له لتستشعر عبوديتك له وعظمته وقدرته عليك، ثم ترفع من الركوع لتستشعر تفضيله لك علىٰ سائر المخلوقات التي لا تستطيع أن ترفع ظهرها؛ لذلك تقول: «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد». ثم تسجد لترسم أجمل صورة لكمال الحب مع كمال الذل، فتنطرح بين يديه سبحانه تطلب منه رضاه والقرب إليه، تدعوه أن يجعلك من أهل الفردوس وأن يتوب عليك، وأن يجعلك شابًّا طاهرًا نقيًّا بعيدًا عن كل ما يغضب حبيبك سبحانه، فأنت الآن أقرب ما تكون منه، وهو يحب أن يسمع صوتك، وفي الحديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»(٢). ثم ترفع من السجود لتقول: «رب اغفر لي»(٣). اغفر

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥)، والترمذي (٢٩٥٣)، والنسائي (٩٠٩)، وأبو داود (٨٢١).

(٢) رواه أحمد (٩٤٦١)، ومسلم (٤٨٢)، والنسائي (١١٣٧)، وأبو داود (٨٧٥).

(٣) رواه أحمد (٢٣٣٧٥)، والدارمي (١٣٦٣)، والنسائي (١١٤٥).

لي تقصيري وذنوبي وظلمي لنفسي، اغفر لي ما قد مضىٰ حتىٰ ينصلح حالي وعملي فيما قد بقي.

وقبل انقضاء هذا اللقاء النوراني فإنك تسلِّم علىٰ عباد الله الصالحين، وتسلِّم علىٰ النبي الأمين ﷺ، وتقول الشهادتين وتصلي علىٰ النبي، وعلىٰ أبي الأنبياء إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وتتعوَّذ بالله من عذاب القبر، وعذاب جهنم، وفتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال[١]، ثم تُسلِّم وقلبك قد ودَّ لو طالت الصلاة حتىٰ لا ينقطع هذا المشهد أبدًا، كما كان يطيل رسول الله ﷺ صلاته ويزينها.

ثم تجلس لتستغفر الله ثلاثًا، وتقول: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[٢]. وتُسبِّح ثلاثًا وثلاثين، وتحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّر ثلاثًا وثلاثين، ثم تقول: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير**»[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٠١٨٠)، ومسلم (٥٨٨)، والنسائي (١٣١٠).

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٦٥)، ومسلم (٥٩١)، والنسائي (١٣٣٧).

(٣) رواه أحمد (٨٨٣٤)، ومسلم (٥٩٧).

رُوي عن حاتم الأصم أنه سُئل عن صلاته، فقال: إذا حانت الصلاة، أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتىٰ تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلىٰ صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبيَّ، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين يدي الرجاء والخوف، أُكبِّر تكبيرًا بتحقيق، وأقرأ بترتيل، وأركع ركوعًا بتواضع، وأسجد سجودًا بتخشُّع، وأُتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أَقُبلت أم لا؟[1]

تأمَّل هذا المشهد ثم قم بعمله، وإن فعلت فأنا علىٰ ثقة بأنك ستنتظر الصلاة إلىٰ الصلاة بإذن الله.

٥- التجارة الرابحة:

جعل الله للصلاة الثواب العظيم، وذلك في القرآن أو في أحاديث نبيه ﷺ، وإليك ست صفقات أعرضهن عليك من خلال القرآن والسنة:

الصفقة الأولىٰ: صفقة الأجر والأمان والفرح: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٥١).

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**والصلاة نور**»[١].

الصفقة الثانية: تكفير السيئات: قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤]. قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة إلىٰ الصلاة والجمعة إلىٰ الجمعة مكفِّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقىٰ من درنه شيء**»؟ قالوا: «**لا يبقىٰ من درنه شيء**». قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[٣].

الصفقة الثالثة: جبال من الحسنات: قال تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ

---

(١) رواه أحمد (٢٢٩٠٢)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٢٨٠).

(٢) رواه أحمد (٨٧١٥)، ومسلم (٢٣٣)، والترمذي (٢١٤).

(٣) رواه أحمد (٨٩٢٤)، ومسلم (٦٦٧)، والترمذي (٢٨٦٨)، والنسائي (٤٦٢).

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]. قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد علىٰ صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتىٰ المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخطُ خطوة إلا رُفع له بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة، حتىٰ يدخل المسجد . . .**»(١).

الصفقة الرابعة: حب الله: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٤، ٥٥].

قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: «**من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىٰ عبدي بشيء أحب إلىٰ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلىٰ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1].

الصفقة الخامسة: الجنة: قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

قال رسول الله ﷺ: «**من غدا إلىٰ المسجد أو راح، أعد الله له نُزُلًا في الجنة كلما غدا أو راح**»[2]. وقال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير؛ فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**». قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله ما علىٰ أحد يدعىٰ من تلك الأبواب من ضرورة؛ فهل يدعىٰ أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

رسول الله ﷺ: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»[1].

الصفقة السادسة: مرافقة النبي ﷺ: قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فعن ربيعة بن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قال: كنت أَبِيتُ مع رسول الله ﷺ فأَتَيْتُهُ بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سَلْ**». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟**» قلت: هو ذاك، قال: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[2].

○ وصية غالية:

أوصىٰ النبي ﷺ أمته قبل مماته بالصلاة فقال: «**الصلاة الصلاة**»[3]. ليقرر بذلك أنها عماد الدين وفسطاط الإسلام، لذلك أوصيك أن تكتب نصَّ هذا الحديث النبوي في غرفتك علىٰ سطح مكتبك، تنظر فيه ليلًا ونهارًا، حتىٰ لا تنسىٰ هذه الوصية النبوية: «**الصلاة الصلاة**». فهي وصية خير الناس ﷺ. فلو أن أحدنا أوصاه والداه قبل موته لحرص علىٰ تنفيذ تلك الوصية حرفا حرفا، وتلك

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٧٨)، ومسلم (٤٨٩).

(٣) رواه أحمد (١٢١٦٩)، وأبو داود (٥١٥٦).

وصية رسول الله الذي قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[1]، فوصية النبي ﷺ يجب أن تكون أغلىٰ عندك من وصية أبيك أو أمك والناس أجمعين.



---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

اللعن والسب

من مقاصد الإسلام التي بُعِث بها النبي عليه الصلاة والسلام تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بُعِثْت لأُتَمِّم صالحَ الأخلاق**»[1]، ومن مساوئ الأخلاق التي انتشرت «اللعن والسب» حتىٰ أصبحت جزءًا من لغتنا اليومية، فالتحية في جموع الشباب هي السب إن لم يكن بالأب أو الأم، وإذا مررت بجانب مدرسة في وقت الانصراف أو الدخول تسمع وابلًا من السباب، حتىٰ وصل بنا الأمر أن نجد الدين الحنيف يُسَبّ من أبنائه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح».

○ **الحكم:**

في السباب عمومًا:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا اللعَّان والفاحش ولا البذيء**»(١).

وقال أيضًا: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(٢).

وقال ﷺ في حق سب الوالدين: «**من أكبر الكبائر أن يشتم الرجل والديه، قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيشتم أباه ويشتم أمه فيسب أمه**»(٣).

أما ما جاء في حكم سب الدين: فعلماء الدين لهم آراء في حكم مَن سبَّ الدين:

- الشيخ عبد المجيد سليم من مشايخ الأزهر الشريف في فتوىٰ له سُئل فيها عن حكم من سبَّ الدين: (من قال هذه الجملة

---

(١) رواه أحمد (٣٨٣٩)، والترمذي (١٩٧٧).

(٢) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٣) رواه أحمد (٦٥٢٩)، والبخاري (٥٩٧٣).

الخبيثة -يقصد سبّ الدين- فهو كافر مرتد عن دين الإسلام بلا خلاف بين أئمة المسلمين، والأمر في ذلك ظاهر لا يحتاج إلىٰ بيان). فتاوىٰ دار الإفتاء المصرية، فتوىٰ بتاريخ شوال **١٣٥٢**هـ/ ٦ يناير سنة **١٩٣٤**م.

- دار الفتوىٰ المصرية: (اتفق الفقهاء علىٰ أن مَن سبَّ ملة الإسلام أو دين المسلمين فإنه يكون كافرًا، أما مَن شتم دينَ مسلم فإنه لا تجوز المسارعة إلىٰ تكفيره؛ لأنه وإن أقدم علىٰ أمر محرَّم شرعًا، إلا أنه لَمّا كان محتملًا للدِّين بمعنىٰ تدين الشخص وطريقته فإن هذا الاحتمال يرفع عنه وصف الكفر، إلا أنه مع ذلك لا ينفي عنه الإثم شرعًا). فتوىٰ رقم **٥٦٨** بتاريخ **٤/ ٣/ ٢٠١٢**م.

- رد فتوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العملية والإفتاء في المملكة العربية السعودية: (سب دين الإسلام كفر، وعلىٰ من اطَّلع علىٰ ذلك أن ينكر المنكر، وينصح لمن حصل منه ذلك؛ عسىٰ أن يقبل النصيحة، ويمسك عن المنكر، ويتأكد ذلك بالنسبة للقريب). الفتوىٰ رقم **٧٣٥٣**.

(سب الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة، والاستهزاء بالمتمسك بهما نظرًا لما تمسك به كإعفاء اللحية وتحجُّب المسلمة؛ هذا كفر إذا صدر من مكلف، وينبغي أن يبين له أن هذا

كفر فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]). فتوىٰ رقم **٤٤٤٠**.

○ البواعث:

١- سوء التربية:

ذكرنا من قبل أن تربية الإنسان لها دور رئيس في تشكيل سلوكه وتصرفاته وعاداته، ومن البواعث التي تؤثر علىٰ الإنسان لفعل تلك المعصية هي سوء تربيته وإهمال الوالدين له.

وقد قال الإمام الغزالي في إحيائه: «والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نُقِشَ عليه ومائل إلىٰ كل ما يُمَال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعَلِمَهُ نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة. وإن عُوِّدَ الشر وأُهْمِلَ إهمال البهائم شقىٰ وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه».

وَيَـنْـشَـأُ نَـاشِـئُ الـفِـتْـيَـانِ مِـنَّـا

عَـلَـىٰ مَـا كَـانَ عَـوَّدَهُ أَبُـوهُ

٢- أصدقاء السوء:

قال رسول الله ﷺ في حق أصدقاء السوء وما يلحق الإنسان بصحبتهم: «**ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا**

خبيثة»[1]، فأصدقاء السوء لا يهدأ لهم بالٌ حتىٰ تخوض مخاضتهم وتنزلق في مستنقعهم، فحتىٰ لو حفظت لسانك معهم ستظهر بمظهر الضعيف مهضوم الحق، فتضطر مغصوبًا إلىٰ النطق بهذا الفحش لتواكب الركب!

وقد قال الغزالي في كتاب «الإحياء»: «والباعث علىٰ الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساد وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب».

○ الآفات:

١- إيمان ينقص:

قال الغزالي في الإحياء: «والباعث علىٰ الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساد وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب»[2] فانظر كيف نفىٰ الغزالي عن أهل الإيمان الفحش بالقول وجعله من عادات أهل الفسق، وقد ورد في أحاديث رسول الله ﷺ أنها ليست من صفات المؤمنين فضًلا عن حرمتها:

---

(١) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١١٨).

«**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»[1].

«**أكمل المؤمنين أحسنهم خلقًا**»[2].

«**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[3].

«**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[4].

الشاهد من هذه الأحاديث أن السباب ما هو إلا فسق وخروج من دائرة الإيمان، كما أن هذا الأمر يتنافىٰ مع هدف بعثة الرسول ﷺ حين قال: «**إنما بُعِثْت لأُتَمِّم صالحَ الأخلاق**»[5].

٢- أكبر الكبائر:

ومما ابتُليت به الأمة اليوم في بعض شبابها أنهم لا يتصافحون ولا يتمازحون إلا بسباب الأم والأب مع كونه أكبر الكبائر فقد أخبرنا ﷺ: «**من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه**»، قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟، قال «**نعم**

---

(١) رواه أحمد (٣٨٣٩)، والترمذي (١٩٧٧).

(٢) رواه أحمد (٧٤٠٢)، والترمذي (١١٦٢).

(٣) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

(٤) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح».

يسبُّ أبا الرجل الرجل فيشتم أباه ويشتم أمه فيسب أباه»[1].

الوالدان هم سبب وجودنا في الحياة، وقد أمرنا الله في القرآن ببرِّهما، حتىٰ وإن آذوك: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [العنكبوت: ٨]، فهذه وصاية من الله عليهما، وقد قال لك أيضا: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فلا ينبغي إيذائهم حتىٰ ولو بكلمة ﴿أُفٍّ﴾، فما بالك بمن يسبهم؟!

ومن الشائع أيضًا -عافانا الله وإياكم- سب الأم بالزنىٰ، وهذا للأسف يندرج تحت السبع الموبقات -أي المهلكات- ألا وهو قذف المحصنات، وقد قال الله تعالىٰ في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ٢٣]، أي أن إضافة لعذاب الآخرة هم مُعرَّضون للعن من الله في الدارين.

كما أن قذف المحصنات له في شريعة الإسلام حد وعقاب؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٤]، وهذا من حكمة الله في خلقه لحفظ الأعراض.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧٣)، وأحمد (٦٥٢٩).

٣- احذر أن تكون منهم:

اللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة أو عن الخير.

ومما ورد في اللعن وإثمه قول النبي ﷺ: «**لعن المؤمن كقتله**»[١]، فالظاهر أنهما سواء في التحريم وإن كان القتل أغلظ.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»[٢]، كما حذرك ﷺ من أن تصيبك اللعنة إذ لم يكن من سببته مستحقًا لها، ففي الحديث: «**إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلىٰ السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلىٰ الأرض فتغلق أبوابها دونها؟ ثم تأخذ يمينًا وشمالًا فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلىٰ الذي لعن فإن كان لذلك أهلًا وإلا رجعت إليه**»[٣].

٤- أتسبُّ دين الله؟!

الواقع في هذا الإثم لا يضع نفسه علىٰ طريق المعصية وفقط، بل يضع نفسه في دائرة الخروج من الإسلام ككل لفظاعة ما يتركبه من قول!، فسبُّ الدين -كما تناولنا في الحكم سابقًا- مُخرج من

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١١٠).
(٢) رواه مسلم (٢٥٩٨)، وأبو داود (٤٩٠٧).
(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٥).

الملة إن لم يَتُب صاحبه، وذلك بفتوىٰ أهل العلم، ف للأسف جملة بسيطة لا يلقي لها صاحبها بالًا من الممكن أن تُخرجه من دائرة الإسلام دون أن يشعر!

وهناك من الشباب من يقع في نهيٍ آخر باعتقاده الهروب من الدين فيسب الديك؛ كي يجتنب الوقوع، فيقع في نهي آخر ورد في حديث رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**»[(١)]. وقد جاء في فتاوىٰ دار الإفتاء المصرية: يجرىٰ علىٰ ألسنة بعض الفساق عبارة سب الدين، وذلك رِدة وكفر لها حكمها، وأحيانًا يقول الشخص: (يلعن ديك أمك) وحكمه أنه إذا كانت نيته سب الدين، ولكن يتستر بلفظ الديك حتىٰ لا يؤاخذه أحد عليه، فهو مرتد عند الله سبحانه؛ لأن الإنسان يحاسب عند ربه بحسب نيته، أما بالنسبة لنا فلا نحكم عليه بالردة؛ لأننا مأمورون بالحكم بالظاهر، والله يتولىٰ السرائر، وأحذر هؤلاء من هذه العبارة التي لو تعودوها، فقد يصرحون بسب الدين، وهنا يكون الكفر، مع أن النبي ﷺ نهىٰ عن سب الديك، فقال: «**لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة**»[(٢)]. وفي لفظ: «**فإنه يدعو إلىٰ الصلاة**»[(٣)] رواه أحمد،

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وأبو داود (٥١٠١).

(٢) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وأبو داود (٥١٠١).

(٣) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وابن حبان (٥٧٣١).

وأبو داود، وابن ماجه بإسناد جيد[1].

ولكن بقي لنا سؤال . . . ما هي كفارة سبِّ الدين؟

يقول الشيخ محمد صالح المنجد: كفارة السب سواء كان سبًّا للدين أو للشخص، هي التوبة النصوح فمن تاب؛ تاب الله عليه، إلا أن السَّاب يستحق التعزير والتأديب[2].

○ العلاج:

١- املك لسانك:

«**أملك عليك لسانك**»[3] بهذه الوصية النبوية يصف لنا رسول الله ﷺ أول طرق العلاج، ألا وهي إمساك اللسان، فاللسان هو القائد إلىٰ طريق النجاة، أو طريق الهلاك، كما بيَّن لنا رسول الله ﷺ: أنه «**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتىٰ يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتي يستقيم لسانه**»[4]، ويقول أيضًا: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتقِ الله فينا، فإنما**

---

(١) ينظر: «المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه» (٢/ ٤٧١).

(٢) لا يكون إلا بواسطة ولي الأمر في الدولة.

(٣) رواه أحمد (٦٩٨٨)، والترمذي (٢٤٠٦)، وأبو داود (٤٣٤٣).

(٤) رواه أحمد (١٣٠٤٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٩).

نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[1].

فأول خطوة في طريق العلاج هي تجديد النية في عدم التلفظ بهذه الكلمات مرة أخرىٰ وتطهير لسانك والعزم علىٰ بداية جديدة غير مشوبة، وإن سقطت بعض السقطات في أول الطريق.

وتلك بعض الإرشادات لإمساك اللسان:

*** لا تغضب:**

فهذه أول إشارة علىٰ طريق إمساك اللسان ألا وهي حديث رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**»[2]، فالغضب مدخل كبير للشيطان، وهو الذي يدفع الألفاظ القبيحة للخروج من لسانك دفعًا.

وقد يظن البعض أن خروج هذه الألفاظ مع بعض التشنجات من الشدة والرجولة، وقد فنَّد رسول الله ﷺ هذه الخدعة فقال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[3]، أضف أيضًا ما يأخذه من ثواب كظمِ الغيظِ مصداقًا لحديثه ﷺ: «**من كَتَمَ غيظًا وهو قادر علىٰ أن ينفذه دعاه الله علىٰ**

---

(١) رواه أحمد (١١٩٠٨)، والترمذي (٢٤٠٧).

(٢) رواه البخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠).

(٣) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

رءوس الخلائق حتىٰ يخيره من حور العين يزوجه منها ما شاء»[1]، فهنيئًا لك هذه الهدية الربانية التي نصَّ عليها رسولنا: «**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا**»[2].

*** كثرة ذكر الله:**

أما الإشارة الثانية علي طريق إمساك اللسان فهي كثرة ذكر الله والفائدة هنا نقسمها إلىٰ قسمين:

الأول: عندما يتعود اللسان علىٰ ذكر الله يعف عن القبيح من القول، وعن اللَّعن والسَّب، فذكر الله طهارة اللسان، وهذه وصية حبيبك التي أوصاك بها لكي تحفظ لسانك وتعلو درجاتك فقال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»[3].

الثاني: ومما جاء في فضل الذكر ما جاء في حديث النبي ﷺ فقد قال: «**سبق المفردون**»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩).

(٣) رواه أحمد (١٧٦٨٠)، والترمذي (٣٣٧٥).

(٤) رواه أحمد (٩٣٣٢)، ومسلم (٢٦٧٦).

٢- اجتنبهم:

أي معصية أو خلق سيئ نابع من رفقة السوء التي لا يهدأ لها بالٌ إلا برؤيتك واقعًا في مستنقعها، فحتىٰ إذا نوىٰ الواحد منا التوبة والإقلاع عن تلك المعصية واجهوه بالسخرية والتهكم، وهو ما يكون سببًا في انتكاس الكثير بعدما تجرءوا في أخذ قرار التوبة.

فاجتناب أصدقاء السوء هو سبيل من سبل طهارة اللسان وعفته فعنه ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل**»[(١)]، وقال أيضًا عن صديق السوء: «**وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[(٢)] فجليس السوء لا يجلب النفع مطلقًا فالأفضل اجتنابه وعدم المخاطرة بقول: (أنا أعرف حدودي معه) أو (لن أتأثر به)!



(١) رواه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣).

(٢) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

الانحراف العاطفي

خلق الله البشر من ذكر وأنثىٰ، وشرع لهم الزواج؛ ذلك الرباط المقدس التي تستمر به الحياة وتتحقق سنة الله في الكون فهو القائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [**الحجرات: ١٣**]، وجعل الله العاطفة وقودًا لتلك العلاقة المقدسة، فلا يحدث التآلف والتعارف إلا بالعاطفة وهو القائل أيضًا: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [**الرُّوم: ٢١**]؛ وذلك لتستمر الحياة الزوجية بشكل صحي لا يشوبه الملل، ولكن الشيطان أعلنها بكل وقاحة وقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [**الأعراف: ١٦**]. فسارَعَ في إغواء الكثير من الشباب والبنات بإشباع شهوته العاطفية بطرق محرمة غير الزواج تحت دعوات ومبررات كثيرة، وانتشرت ظاهرة الانحراف العاطفي بينهم.

○ **الحكم الشرعي:**

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٍۚ﴾ [النِّساء: ٢٥]، وقال أيضًا: ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٍۗ﴾ [المائدة: ٥]. قال ابن عباس: (ومتخذات أخدان يعني: أخلَّاء)، وقال الحسن البصري: (يعني: الصديق)[١].

فهذه الآيات تدلّ دلالة واضحة علىٰ تحريم إقامة علاقة أو صداقة بين الرجل والمرأة.

○ **البواعث:**

١- إشباع الفراغ:

من ينزلق في ذلك المستنقع لا يصمد أمام الفراغ العاطفي الذي يعانيه، ويحاول ملؤه بطريق الحرام، مثله من سد شهوة الأكل بالحرام وسد شهوة غريزة الجنس بالحرام!، فالله تعالىٰ خلق فينا الغرائز لكي يمتحننا ويختبرنا فإن أشبعناها من حرام كان الجزاء والعقاب النار، وإن أشبعناها من حلال كانت الجنة هي الجزاء والثواب.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨٧).

وشهوة الحب والعاطفة، جُعل لها سبيلين للإشباع الأول: هو حب الله ورسوله وحب الوالدين والزوجة والأصدقاء . . . إلخ السبيل الثاني: الحب المحرم سواء كان لفتاة أو معصية أو أي شيء محرم.

وأكثر من يقع في تلك المعصية هن البنات؛ نظرًا لأن غريزة العاطفة عندهم متقدة بشكل كبير، فللأسف تشبع ذلك الفراغ مع أول من يطرق باب قلبها، غير مدركة للعواقب التي ستلاقيها.

٢- أريد إصلاحها!!

ومن الادعاءات الكاذبة لتبرير الانحراف العاطفي والتي يتخذها الشباب ستارًا لتسكين الضمير هي: «أريد إصلاحها» نظرًا لما فيها من الخير غير المستثمر.

وبهذا المدخل الشيطاني يقوم «المصلح الاجتماعي» بدافع «الحب» بينه وبين حبيبته بختم القرآن معها في رمضان ومتابعتها في الصلوات وأمرها بارتداء ملابس فضفاضة، ولكن هيهات هيهات لما كان نشأته علىٰ الحرام.

فماذا لو سألك الله لماذا كنت تصلي يومها؟ ولماذا قرأت القرآن في هذا اليوم؟ أتقول له جل وعلا كنا نشجع بعضنا أنا وحبيبتي؟ وكيف يقبل الله هذا العمل ومنبته من حرام؟

فلا شك أن هذا مدخل شيطاني نجح فيه الشيطان لإغواء الشباب، فلو كنت تريد إصلاحها حقًّا . . . لتركتها وشأنها.

٣- زواج الصالونات مرفوض:

بعض شباب اليوم بدأ يعتقد أن الزواج «الاعتيادي» زواج فاشل حتىٰ وإن استمر، لأنه «زواج صالونات» وصار واجبًا -بحسب ظنه- أن يتعايش معايشه كاملة مع هذه الفتاة التي أحبها قبل أن يتقدم لها حتىٰ لا يكون زواجًا فاشلًا -كما يزعم.

ولكن هذا المبرر أيضًا ما هو إلا تسكين للضمير وإيجاد مبرر لتمرير «الانحراف العاطفي» تحت هذه الدعوىٰ التي لم يعلم صاحبها أن العيب ليس في زواج الصالونات أو الزواج عن الحب، ولكن في التوافق بين الأزواج ومسألة الاختيار الصحيح في بادئ الأمر، فليس هناك زواج عن حب أو زواج صالونات، هناك اختيار ناجح واختيار فاشل.

○ الآفات:

١- خطوات الشيطان:

العاطفة مكوِّن رئيسي في عملية التواصل الجنسي بين الزوجين، فهي خطوة أولية لسُلَّمٍ آخر درجاته تلك العملية، ولك

أن تعلم أن النضج الجنسي بين الزوجين يكون في أقصاه عندما يبلغ النضج العاطفي بينهما أقصىٰ حد، فالعاطفة لها اتصال وثيق بهذه العملية، فنبتة تلك المعصية لا بدَّ وأن تنتهي إلىٰ ثمرة خبيثة غير محمودة العواقب.

فليس هناك ما يسمي بـ «الحب العفيف» أو «الحب الطاهر»، فكم من قصة حب ادَّعىٰ أصحابها أنهم لا يفكرون في هذه الأمور وأنهم بعيدون تمامًا عنها، ثم انتهت بالمصائب والفضائح والعياذ بالله، بل وكيف يجتمع رجل وامرأة يتكلمون في أمور الحب ولا يدور بباله أو بالها إنه يشتهيها أو تشتهيه؟

ففي الحديث: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[1]، فما بالك برجل وامرأة الشيطان ثالثهما؟ فماذا يدور ببالهما؟

أيضًا قال الله تعالي: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٨]، أسمعت؟! إنها خطوات، لن يأتي الشيطان ويقول لك: ازنِ، ولكن سيدخلك في علاقة عن طريق نظرة، فبسمة، فكلمة، فلقاء، فمصيبة.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١).

ولنا في قصة (برصيصا) العابد عبرة، فقد كان ثلاثة إخوة من صالحي بني إسرائيل أرادوا الجهاد، ولهم أختٌ خافوا عليها الوحدة فأودعوها عند عابد يسمىٰ (برصيصا)، وقد رفض أولًا، إلا مع إلحاحهم اضطر للقبول، فجعلها في صومعة مقابلة لصومعته، وكان يدلي لها الطعام بالحبل فتأخذه، ثم تذهب إلىٰ صومعتها، وما زال الشيطان به يستدرجه، فنزل إليها وكلَّمها إيناسًا لوحدتها، ثم كان ما كان إلىٰ أن وقع بها وحملت منه، وطال الغزو بإخوتها حتىٰ وضعت حملها، فقتل طفلها، ثم زيَّن ووسوس له الشيطان بقتلها هي الأخرىٰ حتىٰ يموت سره إلىٰ الأبد، ثم دفنها، وجاء الإخوة من الغزو فسألوا عن أختهم، فأخبرهم أنها ماتت، فاحتسبوها عند الله، فجاء الشيطان إلىٰ الإخوة في منامهم وأخبرهم بضر أختهم وموضع قبرها، فذهبوا وحفروا، فوجدوا الأمر كما جاء في المنام، فذهبوا إلىٰ برصيصا وأنزلوه من صومعته، فرفعوه علىٰ الصليب لينال جزاءه، هنا تمثَّل له الشيطان في صورته الحقيقية قائلًا: «لقد علمت أن صاحبك الذي أغريتك بها فاسجد لي سجده وأنا أنجيك مما أنت فيه» فسجد له وكفر بالله تعالىٰ فولَّىٰ الشيطان هاربًا وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

٢- اقرأ كتابك:

يقول الله تعالىٰ: ﴿مَا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]، قال ابن عبَّاس كما في تفسير علي بن أبي طلحة: (﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾؛ يَكْتُبُ كلَّ ما تَكَلَّمَ به من خيرٍ أو شرٍّ، حتىٰ إنه ليَكْتُبُ قوْلَه: (أكلتُ، شرِبتُ، ذهبتُ، جئتُ، رأيتُ)، فكيف إذا جاء بك الله يوم القيامة ورأيت صحيفتك وقد كُتب كل لحظة وكلمة تفوهت بها في دنياك معها؟ كيف شعورك وأنت تقف بين يدي ربك والبشر جميعهم يسمعونك تقرأ ما كنت تتلفظ به معها، وكل حركة وسكنة؟! وللأسف لا تحتوي هذه العلاقات إلا علىٰ البذاءة من القول وإفساد للعفة.

وفي تلك المعاني تأكيدًا من القرآن والسنة ففي سورة الإسراء يقول الله ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤]، وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ، فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبَابِهِ، فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ، مِنْ أَيْنَ اكتَسَبه؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ، مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟**»(١).

---

(١) رواه الدارمي (٥٤٣)، والترمذي (٢٤١٧) وأبو يعلىٰ (٥٢٧١).

٣- ستخونك:

ضمير الإنسان عبارة عن مجموعة من المبادئ، ومَن تخلىٰ عن مبدئه مرة، لا مانع أن يتخلىٰ عنه عشرات المرات بعد ذلك، فما المانع من أن تخونك من ارتبطت بها عن طريق محرم وقد خانت قبلك أقرب الناس إليها -أباها وأمها- معك؟! وما المانع من أن يخونك من تجرأ علىٰ فتنة البنات قبلك وصاحب هذه وترك تلك؟! فالذي يغدر مرة ويتنازل، يكون من السهل أن يغدر مرة أخرىٰ.

مَــنْ خَــانَــتِ الــعِــرْضَ يَــوْمًــا

عُـــهُـــودُهَـــا مُـــسْـــتَـــحِـــيـــلَـــةٌ

كما أن الله تعالىٰ يقول في قرآنه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التّوبَة: ١٠٩].

فإذا أردت أن تقيم بناءً وجب عليك أن تقيمه علىٰ أساسات جيدة، لا علىٰ أسس واهية، كي لا ينهار، فالله في القرآن بشَّر من كان أساس بنائه تقوىٰ الله بالتوفيق والرضا، أما الآخر فبشره بالخذلان والخسران، وكذلك أمر الزواج يجب أن يُبنىٰ علىٰ طاعة الله وأن يكون أساسه تقوىٰ الله كي يبارك فيه.

٤- كما تدين تدان:

قال الشافعي:

عُفُّوا تَعُفُ نِسَاؤُكُمْ فِي المَحْرِمِ
وَتَجَنَّبُوا مَا لاَ يَلِيقُ بِمُسْلِمِ
إِنَّ الزِّنَا دَيْنٌ إِذَا أَقْرَضْتَهُ
كَانَ الوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمِ

فاعلم أنك ما اقترفته في بنات الناس سوف يرد لك بالمثل في أهل بيتك فهذه سنة الله في كونه أن كما تفعل يُفعل بك، وكما تُجازِي تُجازَىٰ، وقد قال: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «**البِرُّ لا يَبْلَىٰ، والإِثْمُ لا يُنسَىٰ، والدَّيَّانُ لا يَنام، فكُنْ كَما شِئْت، كَما تَدينُ تُدان**»[1]، وهذا من عدل الله وحكمته.

رُويَ في الأثر أن رجلًا تاجرًا أرسل ابنه في تجارة إلىٰ بلدٍ آخر، وذات يوم نظر التاجر من شرفة المنزل إلىٰ باب بيته فوجد السقا الذي يجلب الماء يقبل ابنته، فسكت التاجر حتىٰ عاد الولد من السفر، فعندما عاد سأله الأب: ماذا فعلت في تجارتك؟ فقال بعت واشتريت وفعلت ...، فقال الأب: ليس عن هذا

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٢)، وأحمد في «الزهد» (٧٦٥).

أسألك، هل فعلت شيئًا آخر؟ فأنكر الولد في البداية، فلما ألحَّ عليه الأب، قال الولد: لم أفعل شيئًا يا والدي سوىٰ أنني قبلت امرأة أعجبتني في السوق، وعندها قال الأب: دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا.

٥- احسبها صح:

إذا تفكرت في كم الوقت الذي يضيع كل يوم في هذا الكلام المحرم، وفي التفكير فيه، ستجده كفيلًا لفعل شيءٍ مفيدٍ؛ سواء كان عملًا أو مذاكرةً لدروسك، يخدمك في زواج مبكر ويعفك عن الحرام.

أيضًا إذا تفكرت في كم الأموال التي تضيع كل يوم في التحدث في الهواتف، كان من الممكن أن تشتري بهذه الأموال أو تساهم بجزء منها في شراء مهر لزواجك أو أن تساهم في تجهيز بيتك أو تفعل به شيئًا نافعًا لك، أو مشروعًا صغيرًا تبدأ به حياتك، فالعاقل من يعرف كيف تؤكل الكتف.

٦- ضريبة فروق الخبرة:

كلما كبر الإنسان وتقدم في العمر زادت خبرته في الحياة واتسعت مداركه واختلفت معاييره في اختيار الشخص الذي يريد

الارتباط به، فلو أن شخصًا أتاحوا له اختيار شريكة الحياة وهو في المرحلة الثانوية، ثم أتاحوا له نفس القرار في المرحلة الجامعية، بلا شك أن اختياراته ستختلف اختلافًا جذريًّا بحسب الخبرة التي اكتسبها في حياته في تلك الفترة، لا سيما أن الإنسان في تلك الفترة يشهد تقلبات مزاجية وسلوكية كبيرة. فلماذا يتسرع الشخص في ذلك القرار الذي ينبني عليه حياته كله؟! ولماذا يشغل نفسه بقرارات من المبكر التفكير فيها؟!

○ العلاج:

١- اتركها لله:

أول خطوة في العلاج أن تترك تلك المعصية بغية رضا الله، وأنت على يقين أن الله سوف يبدلك خيرًا منها، مع شريك يعف ويصون ويُسعد، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟! وقد جرت سُنة الله في عباده أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وهو القائل سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٢- أغلِق الأبواب:

من صدق في توبته عليه أن يقطع كل حبل موصل لذنبه، وإلا سيكون كاذبًا في توبته، فيجب علىٰ من أقلع عن هذا الذنب أن يجفف منابع هذه المعصية، مثل تغيير رقم الهاتف أو عدم الرد علىٰ الهاتف حتىٰ يمل أو تمل.

من تجفيف المنابع أيضًا عدم مشاهدة الأفلام التي تثير العواطف وتجعلك تحن إلىٰ الماضي وتستذكر لذة المعصية، فتشتاق لفعلها.

وفي هذا العنصر نود الإشارة إلىٰ أن كل شاب أدرىٰ بأبواب المعصية وكيفية إغلاقها، لما لتلك المعصية من طرق كثيرة ومتنوعة، فاستعِن بالله، ونظِّف حياتك واحذر أن تميل، ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النِّساء: ٢٧].

٣- اشغل نفسك:

قيل قديمًا: «إن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية». . فما زللت في تلك المعصية إلا لفراغك، وعدم انشغالك بما يفيد، وترك فرصة للتفكير في خواطر المعصية وترجمتها إلىٰ واقع.

فالنفس أمَّارة بالسوء، والشيطان يجري منك مجرىٰ الدم، وشهواتك تصارعك. . فمن الطبيعي أن تقع في فخاخ هؤلاء طالما كنت بعيدًا عن إشغال نفسك بما يفيد.

اشغل نفسك بتعلم لغة أو المشاركة في أعمال خيرية أو الاشتراك في دورات تدريبية، أو عمل مشروع تجاري يختصر عليك طريق العفة.

وكما قال ابن مسعود ﵁ يقول: إني لأكره أن أرىٰ الرجل فارغًا، لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة.

إِنَّ الـــمُـــعَـــاكِـــسَ ذِئْـــبٌ
يُـــغْـــرِي الـــفَـــتَـــاةَ بِـــحِـــيـــلَـــه
يَـــقُـــولُ هَـــيَّـــا تَـــعَـــالَـــيّ
إِلَـــىٰ الـــحَـــيَـــاةِ الـــجَـــمِـــيـــلَـــه
قَـــالَـــتْ أَخَـــافُ الـــعَـــارَ وَالإِغْـــرَاقَ
فِـــي دَرْبِ الـــرَّذِيـــلَـــه
الأَهْـــلُ والـــخِـــلَّانُ
وَالـــجِـــيـــرَانُ بَـــلْ كَـــلُّ الـــقَـــبِـــيـــلَـــه
قَـــالَ الـــخَـــبِـــيـــثُ بِـــمَـــكْـــرٍ
لاَ تَـــقْـــلَـــقِـــي يَـــا كَـــحِـــيـــلَـــه

إِنَّـــا إِذَا مَـــا الْـــتَـــقَـــيْـــنَـــا
أَمَـــامَـــنَـــا أَلْـــفَ حِـــيـــلَـــه
مَـــتَـــىٰ يِـــجِـــيءُ خَـــطِـــيـــبٌ
فِـــي ذِي الـــحَـــيَـــاةِ الـــمَـــلِـــيـــلَـــه
لِـــكُـــلِّ بِـــنْـــتٍ صَـــدِيـــقٌ
وَلِـــلْـــخَـــلِـــيـــلِ خَـــلِـــيـــلَـــه
يُـــذِيـــقُـــهَـــا الـــكَـــأْسَ حُـــلْـــوًا
لِـــيَـــسْـــعَـــدَا كُـــلَّ لِـــيـــلَـــه
لِـــلـــسُّـــوقِ وَالـــهَـــاتِـــفِ وَالـــمَـــلْـــهِـــىٰ
حِـــكَـــايَـــاتٌ جَـــمِـــيـــلَـــه
إِنَّـــمَـــا الـــتَّـــشْـــدِيـــدُ وَالـــتَّـــعْـــقِـــيـــدُ
أَغْـــلَالٌ ثَـــقِـــيـــلَـــه
أَلاَ تَـــرَيْـــنَ فُـــلاَنَـــةً
أَلاَ تَـــرَيْـــنَ زَمِـــيـــلَـــه
وَإِن أَرَدِّتِ سَـــبِـــيـــلاً
فَـــالـــعُـــرْسُ خَـــيْـــرُ وَسِـــيـــلَـــه
وَانْـــقَـــادَتِ الـــشَّـــاةُ لِـــلـــذِّئْـــبِ
عَـــلَـــىٰ نَـــفْـــسٍ ذَلِـــيـــلَـــه

فَـــيَـــا لِــــفُــــحْـــشٍ أَتَـــتْـــهُ
وَيَـــا فِـــعَـــالٍ وَبِــــيــــلَـــه
حَــــتَّـــــىٰ إِذَا الــــوَغْـــدُ أَرْوَىٰ
مِــنَ الــفَــتَــاةِ غَــلِــيــلَــه
قَـــال الـــلَّـــئِـــيـــمُ وَدَاعًـــا
فَــفِــي الــبُــسْــتَــانِ بَــدِيــلَــه
قَـــالَـــتْ أَلَـــمًـــا وَقَــــعْــــنَــــا
أَيْــنَ الــعُــهُــودُ الــطَّــوِيــلَــه
قَـــالَ الـــخَـــبِـــيـــثُ وَقَـــدْ كَـــشَّـــرَ
عَــــنْ مَـــكْـــرٍ وَحِـــيـــلَـــه
كَـــيْـــفَ الـــوُثُـــوقُ بِـــغُـــرٍّ
وَكَـــيْـــفَ أَرْضَـــىٰ سَـــبِـــيـــلَـــه
مَــنْ خَــانَــتِ الــعِــرْضَ يَــوْمًــا
عُــهُــودُهَــا مُــسْــتَــحِــيــلَــه
بَـــكَـــتْ عَـــذَابًـــا وَقَـــهْـــرًا
عَــلَــىٰ الــمَــخَــازِي الــوَبِــيــلَــه
عَـــــارٌ وَنَـــــارٌ وَخِـــــزْيٌ
كَـــذَا حَـــيَـــاةٌ ذَلِـــيـــلَـــه

مَــــنْ طَــــاوَعَ الـــذِّئْـــبَ يَـــوْمًـــا

أَوْرَدَهُ الـــمَـــوْتَ غِـــيـــلَـــه



السهم المسموم

أنعم الله علىٰ عباده بنعم عظيمة لا تُحصىٰ ولا تُعد، يعجز العبد القائم بالليل والصائم دومًا بالنهار عن شكرها، ومنها نعمة البصر، وهي سلاح ذو حدين، استخدمه الكثير للأسف في معصية الله وإطلاق البصر في ما حرمه الله، مع جهله بعواقب ومضار ذلك الأمر.

○ **الحكم:**

قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النُّور: ٣٠].

وقد قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا**

أيديكم»[1]، وقال في حديث آخر: «**ثلاثة لا ترىٰ أعينهم النار عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله**»[2].

وقد يظن البعض أن غضَّ البصر خاص بالرجال فحسب، ولا يعلمون أن النساء مأمورات به في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النُّور: ٣١].

○ البواعث:

١- اللذة الخادعة:

يظن من أطلق بصره في الحرام أن بالنظر إلىٰ هذه وتلك سيشبع من جوع شهوته أو أنه يُصبِّر نفسه بتلك المناظر، ولا يدري أنه بذلك يزيد من استثارة شهوته أكثر ما كانت، فمثله مثل الجائع الذي رأىٰ طعامًا وليس في مقدرته الحصول عليه، فلا يزيده النظر إلا جوعًا وبلاءً فوق بلاءه.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٧)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦).

(٢) رواه أبو يعلىٰ في «معجمه» (٢١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٣) بلفظ: «**غضت عن محارم الله**».

وصدق من قال:

أَحْـــلاَمُ نَـــوْمٍ أَوْ كَـــظِـــلٍ زَائِـــلٍ

إِنَّ الـلَّـبِـيـبَ بِـمِـثْـلِـهَـا لاَ يُـخْـدَعُ

٢- الجهل بالعاقبة:

كُـلُّ الـحَـوَادِثِ مَبْـدَاهَـا مِـنَ الـنَّـظَـرِ

وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغِرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ بَلَغَتْ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهَا

كَـمَـبْـلَـغِ الـسَّـهْـمِ بِـلاَ قَـوْسٍ وَلاَ وَتَـرِ

يَـسُـرُّ مُـقْـلَـتَـهَ مَـا ضَـرَّ مُـهْـجَـتَـهُ

لاَ مَـرْحَـبًـا بِـسُـرُورٍ عَـادَ بِـالـضَّـرَرِ

البعض يستهين بإطلاق البصر ولا يعلم أن النظرة هي الخطوة الأولىٰ في الطريق لمهالك أخرىٰ أكبر، ولِمَ لا وهي باب القلب! فهل دفع من تورط في فعل فاحشة إلا نظرة أفسدت قلبه؟! وما الذي دفع شاب أن يعجب بفتاة ويتعلق بها إلا نظرة جهل بعاقبتها؟!

وَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ سَبَبًا

حَـتَّـىٰ يُـفَـكِّـرَ مَـا تَـجْـنِـي عَـوَاقِـبُـهُ

والمتأمل في كتاب الله يجد أن الله يربط دائمًا غض البصر بحفظ الفرج فقد قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ

وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ [النُّور: ٣٠]، وفي الحديث أكدَّ الرسول ﷺ علىٰ تلك العلاقة: «. . **واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم** . . »[١].

○ **الآفات:**

١- **بريد الزنا:**

ولعل سائل يسأل ما علاقة إطلاق البصر بأنه طريق الزنا؟!

كما ذكرنا سابقًا أن العين هي باب القلب، فكما قال حكيم من الحكماء: أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**كُتِبَ علىٰ ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطىٰ، والقلب يهوىٰ ويتمنىٰ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»[٢].

تأمل في قول النبي: «**والقلب يهوىٰ ويتمنىٰ ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**».

اعلم أن العين باب القلب، واعلم أن الشيطان لا يأتيك

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٧)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

بوسواس الزنا مباشرة؛ بل هي خطوات.. نظرة .. فسلام .. فكلام .. فموعد .. فلقاء .. فمصيبة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البَقَرَة: ١٦٨].

وقد قال الإمام ابن القيم في «الداء والدواء»: «والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوىٰ فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بدَّ ما لم يمنع منه مانع».

٢- حرمان العلم:

المعاصي عامة سبب من أسباب انتكاس البصيرة وحرمان العلم، فكيف يريد من أطلق بصره في الحرام أن يحفظ القرآن أو يتعلَّم علمًا نافعًا؟

فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي شيخه وكيع يشتكي له تعثُّر حفظه لكتاب الله، فأرشده إلىٰ ترك المعاصي، فرجع الإمام الشافعي إلىٰ نفسه ليتذكر أي ذنب أذنب فتذكر أنه رأىٰ عن غير قصدٍ جزء من قدم امرأة مرت أمامه، فأنشد الشافعي أبياتًا قال فيها:

شَكَوْتُ إِلَىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي

فَأَرْشَدَنِي إِلَىٰ تَرْكِ المَعَاصِي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ العَلْمَ نُورٌ

وَنُورُ اللهِ لاَ يُهْدَىٰ لِعَاصِي

٣- ليس من شِيَمِ الرجال:

يقول عنترة العبسي الذي كان يعيش في ظلام الجاهلية:

وَأَغُضُّ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي

حَتَّىٰ يَوَارِي جَارَتِي مَثْوَاهَا

فإذا كان عنترة يعرف الحقيقة وهو في ظلام الجاهلية، يعرف أن إطلاق البصر ليس من شيم الرجولة، فأولىٰ بنا نحن شباب الإسلام أن نبعد عن هذه الدنايا ونسموا بأخلاقنا ومروءتنا.

٤- حسرات:

لك أن تتخيل شخصًا جائعًا يقف أمام محل للمشويات وهو عاجز عن الشراء، فيقينا ستحكم علىٰ هذا الشخص بأنه يعذب نفسه، فكذلك مطلق بصره في الحرام فإنه يرىٰ ما ليس عليه قادرًا ولا هو صابرًا عليه، فتزداد شهوته ويزداد عذابه.

وَكُنْتَ مَتَىٰ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا

لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأَيْــتَ الــذِي لاَ كُــلَّــهُ أَنْــتَ قَــادِرٌ

عَـلَيْـهِ وَلاَ عَـنْ بَـعْـضِـهِ أَنْـتَ صَـابِـرُ

فكلما كثرت الصور وتنوعت كلما كانت إثارة الشهوة أمرًا سهلًا، وكلما قلت الصور في العقل أصبح تأثيرها أضعف وتحكمك في نفسك أقوي وقد قيل: «إن حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات»، فالصور المخزنة في العقل والتي تم التقاطها بإطلاق البصر تستغلها نفسك الأمارة بالسوء في لحظات ضعف الإيمان لكي تستثير شهوتك.

٥- إلف المحرم:

إن إطلاق البصر يجعل القلب يألف الأمر المحرم، فلا يتلذذ إلا به وإن تزوج جميلة الجميلات، فإنه لا يكفيه ولا يشبعه ذلك، فتجد ديدنه وعادته هو إطلاق بصره وكذا غير المتزوج تجده مطلق بصره في الجميلة والقبيحة:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـعَـيْـنَ لِـلـقَـلْـبِ رَائِـدٌ

فَـمَا تَـأْلَـفِ الـعَـيْـنَـانِ فَـالـقَـلْـبُ آلِـفُ

ولابن القيم رحمه الله كلاما نفسيا في ذلك الأمر: «وأعجب من ذلك: أن النظرة تجرح القلب جرحًا، فيتبعها جرحًا علىٰ جرح، ثم

لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها»[١].

٦- الجزاء من جنس العمل:

كما ندين تدان، سُنة كونية سَنَّها الله بين عباده للعدل بينهم في الدنيا قبل الآخرة، فمن أطلق بصره في الحرام كان رد ذلك في أهل بيته.

ولقد أبدع ابن القيِّم ﵀ حين قال: (ولذلك كان الجزاء مُماثلًا للعمل من جنسه في الخير والشر، فمَن سَتَر مُسلمًا ستَره الله، ومن يسَّر علىٰ مُعسِر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن نفَّس عن مؤمنٍ كُرْبة من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن أقال نادمًا أقال الله عثرتَه يوم القيامة، ومن تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورتَه، ومن ضارَّ مسلمًا ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه، ومن خذَل مسلمًا في موضع يجب نصرتُه فيه خذَله الله في موضِع يجب نصرتُه فيه، ومَن سمَح سمَح الله له، والراحمون يرحَمهم الرحمن، وإنما يرحَم الله من عباده الرحماء، ومن أنفَق أنفَق الله عليه، ومن أوعىٰ أوعىٰ عليه، ومن عفا عن حقِّه

---

(١) «الداء والدواء» لابن القيم.

عفا الله له عن حقِّه، ومن تجاوَز تجاوَز الله عنه، ومن استقصىٰ استقصىٰ الله عليه).

فَيَا رَامِيًا بِسَهْمِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا
أَنْتَ القَتِيلُ لِمَا تَرْمِي فَلاَ تَهَبِ
وَبَاعِثُ الطَّرْفِ يَرْتَادُ الشَّقَاءَ لَهُ
احْبِسْ رَسُولَكَ لاَ يَأْتِيكَ بِالعَطَبِ

○ **العلاج:**

١- دواء ابن القيم:

ذكر بن القيم عدة فوائد لغض البصر في كتابه الداء والدواء:

١- أنه امتثال لأمر الله جل وعلا، الذي هو غاية السعادة لعبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامره وما شقي من شَقِيَ في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢- أنه لمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي هو سبب هلاك القلب.

٣- أنه يورث القلب أُنسًا بالله، فإن إطلاق البصر يفرِّق القلب ويشته ويبعد من الله وليس علىٰ القلب شيءٌ أضر من إطلاق البصر فإنه يورث الوحشة بين العبد وربه جلَّ وعلا.

٤- أنه يُقَوي القلب ويفرحه، وإطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

٥- أنه يُلْبس القلب نورًا، كما أن إطلاقه يُلْبسه ظلمة . . .، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان.

٦- أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب والله سبحانه يجزي العبد علىٰ عمله بما هو من جنس عمله، من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبس بصره لله ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال ببصيرة القلب.

٧- أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، فيجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة وسلطان القدرة والقوة.

وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته، والذل قرين معصيته، فقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنَافِقون: ٨]، وقال جل في علاه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٩].

٨- أنه يسد علىٰ الشيطان مدخله إلىٰ القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلىٰ القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي.

٩- أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر يُنسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أمره، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه.

١٠- أن بين العين والقلب منفذًا وطريقًا يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب.

٢- لا تتبع النظرة النظرة:

قال الحبيب المصطفي ﷺ: «**يا عليَّ لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولىٰ وليست لك الآخرة**»[١].

يقصد النبي أنه إذا وقع نظرك علىٰ الحرام فجأة؛ فاصرف بصرك فورًا، فإن الأولىٰ لك يقصد بها الفجأة، والثانية عليك وهي أن تكسب ذنبًا بها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعجب من ذلك: أن النظرة تجرح القلب جرحًا، فيتبعها جرحًا علىٰ جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها»[٢].

---

(١) رواه الترمذي (**٢٧٧٧**)، وأبو داود (**٢١٤٩**).

(٢) «الداء والدواء» لابن القيم.

يقصد الإمام ابن القيم أن النظرة الحرام تلو الأخرىٰ تجعل القلب يعتاد ذلك ولا يشعر بالذنب وبالتالي يحدث به ما ذكرناه من إلف المعصية.

مَا زِلْتَ تُتْبِعُ نَظْرَةً فِي نَظْرَةٍ
فِي إِثْرِ كُلِّ مَلِيحَةٍ وَمَلِيحِ
وَتَظُنُّ ذَاكَ دَوَاءَ جُرْحِكَ وَهُوَ
فِي التَّحْقِيقِ تَجْرِيحٌ عَلَىٰ تَجْرِيحِ

٣- وحور عين:

هل سمعت عن الرجل الذي باع ذهبًا مقابل حفنة من تراب؟! بلا شك ستحكم عليه بالجنون وفقدان العقل. فما بالك بمن يفعل ذلك حقيقة، ويتحقق ذلك عندما يبيع الرجل نعيم الآخرة بنعيم الدنيا الفاني.

فبغضك لبصرك تفوز بالمهر الذي أرشدك إليه أبو الدرداء رضي الله عنه فقال: من غض بصره عن النظر الحرام زوج من الحور حيث أحب.

واسمع إلىٰ قول خالقهن سبحانه في وصفهم: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣]، ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾

[الرَّحمن: ٧٠]، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرَّحمن: ٥٨]، ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ﴾ [الصَّافات: ٤٨].

واستمع إلىٰ نبيك: «**ولو أن امرأة من أهل الجنة اطَّلعت إلىٰ أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[(١)]. فهي لا تتفل ولا تبصق ولا تحيض ولا تتبول ولا تتغوط، جمالها لا يوصف مثل الياقوت والمرجان لك أن تتخيل أن نصيفها -أي خمارها- خير من الدنيا وما فيها فما بالك بها هي، فهذا غيض من فيض، وقليل من كثير، ولكن هل ستسمح لنفسك الأمارة بالسوء والشيطان الضعيف كيده أن يجعلك تبيع كل هذا النعيم ببضع نظرات تحصيلًا للذةٍ فانيةٍ عابرةٍ؟!

٤- فاعتبروا:

إن التعلق بالشهوات إلىٰ المحارم من أسباب سوء الخاتمة والعياذ بالله، فدعني أقصُّ عليك قصة تعي بها ما أقصد حيث قال الله جل وعلا: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يُوسُف: ١١١].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٦)، والترمذي (١٦٥١).

ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائة ما يلي:

«وفيها تُوفي عبده بن عبد الرحيم -قبَّحه الله- ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم.

فلما كان في بعض الغزوات، والمسلمون يحاصرون بلدة من بلاد الروم. إذ نظر إلىٰ امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن، فهويها، فراسلها: ما السبيل للوصول إليك؟ فقالت أن تتنصر وتصعد إليَّ فأجابها إلىٰ ذلك. فما راع المسلمون إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمًّا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا يا فلان: ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحِجر: ٢، ٣]، وقد صار لي فيهم مال وولد)[١]»، فكان مهرها

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٧٤).

الكفر بالله، ولكن الشاهد من هذه القصة أن كل هذه النكسة بدأت بنظرة، ولو أنه غضَّ بصره لحفظ دينه وقلبه.

وأخيرًا فهذه عدة نصائح معينة علىٰ غض البصر:

١- تحكَّم ببصرك فلا تلتفت كثيرًا دون وعي.

٢- اجعل لنفسك عقابًا تؤدبها به إذا وقعت في المعصية.

٣- انصح غيرك بغض البصر فالنصيحة بالشيء تعينك علىٰ فعله.



خاطرة

قال محمد بن سيرين: «ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا نوم غير أم عبد الله، وإني لأرىٰ المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري».



أسير الصوت الملعون

في ريف إحدىٰ البلاد، كانت هناك أسطورة شائعة تقول بأن هناك امرأة تخرج ليلًا تسمىٰ بـ «النداهة»، تنادي علىٰ من يسير وحده ليلًا، فتسلب عقله بصوتها، ويظل فاقدًا لعقله، وعلىٰ غرار «أسطورة النداهة»، هناك تقول بأن صوتًا ملعونًا يتسلل إلىٰ بعض الناس فيأسرهم ويثير أشجانهم ويتلاعب بمشاعرهم ويراكم الصدأ علىٰ قلوبهم ألا وهو الغناء وآلات المعازف.

○ **الحكم:**

❁ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [**لقمان**: ٦].

جاء في تفسير ابن كثير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو يُسأل عن هذه الآية التي ذكرناها فقال

عبد الله بن مسعود: «الغناء والله الذي لا إله إلا هو»، يرددها ثلاث مرات وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير[1].

* قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسرَاء: ٦٤]. جاء في «تفسير الجلالين»: «واستفزز»؛ استخف، و«صوتك»؛ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلىٰ معصية[2].

وقد قال ابن القيم: «والغناء من أعظم الدواعي إلىٰ معصية الله»[3].

وقال مجاهد: «صوت الشيطان الغناء والمزامير»[4]، وكذا جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية[5].

* قال رسول الله ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**»[6]، جاء تحريم الشريعة في قول النبي ﷺ: «**يستحلون**» أي أنها محرمة وهم يبيحونها.

---

(١) ينظر: «تفسير ابن كثير» ط. العلمية (٦/ ٢٩٦).
(٢) ينظر: «تفسير الجلالين» (ص٣٧٣).
(٣) ينظر: «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٥٥).
(٤) ينظر: «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٥٦).
(٥) ينظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٩٠).
(٦) رواه البخاري (٥٥٩٠)، وابن حبان (٦٧٥٤).

قالوا في الغناء:

قال عبد الله بن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب[1].

قال عمر بن عبد العزيز: الغناء بدؤه من الشيطان، وعاقبته سخط من الرحمن[2]، وقال أيضًا: «أحذركم الغناء، أحذركم الغناء، أحذركم الغناء، فما استمعه عبد إلا أنساه الله القرآن».

أقوال الأئمة الأربعة:

مذهب الإمام أبي حنيفة: ذكر ابن الجوزي عن أبي الطيب قال:

كان أبو حنيفة يكره الغناء، ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة وذكر الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحريمه عن أبي حنيفة وقال: «اعلم أن الغناء حرام في جميع الأديان»[3].

مذهب الإمام مالك[4]: قال أبو الطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما مالك بن أنس فإنه نهىٰ عن الغناء وعن استماعه وقال: إذا اشترىٰ جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعين».

---

(١) ينظر: «الإيمان» لابن تيمية (ص٢٣٨)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٥٢).

(٢) ينظر: «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٥٠).

(٣) ينظر: «البحر الرائق» (٨/ ٢٣)، «رد المحتار علىٰ الدر المختار» (٤/ ٣٢٢).

(٤) ينظر: «المدونة» (٣/ ٤٣٢).

مذهب الإمام الشافعي[1]: قال في كتاب «أدب القضاء»: (إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال ومن استكثر منه فهو سفيه) وصرح أصحابه العارفون بمنهيه؟؟ وإن نكروا علىٰ من نسب إليه حله.

مذهب الإمام أحمد: قال عبد الله ابنه: سألت أبي عن الغناء؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب ولا يعجبني[2]، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفُسَّاق.

○ الآفات:

١- قسوة القلب:

قال ابن القيم: «الغناء هو جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب»[3]، فإن الموسيقىٰ والغناء تسكر الروح وتزيد من الصدأ علىٰ القلب وتقود لقسوته، فتجد من يسمع الغناء يسيل دمعه لأجل أغنية ولا يستطيع أن يخشع لكلام الله، فقسوة القلب هذه ناتجة من بعده عن كلام الله وامتلاء جوفه وقلبه بالألحان والغناء.

---

(١) ينظر: «الأم» (٦/ ٢٢٦).

(٢) ينظر: «مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله» (ص٣١٦).

(٣) ينظر: «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٤٩).

وقد وصف الله ﷻ أصحاب القلوب الطاهرة فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الزمر: ٢٣] ومن جانب آخر يحذر من قسوة القلب لذكر فيقول: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقد قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنك لا تجد أحدًا عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدىٰ علمًا وعملًا، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلىٰ استماع الغناء)[1].

حُبُّ الكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الغِنَاءِ

فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

ثَقُلَ الكِتَابُ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا

بِشَرَائِعِ الإِيمَانِ

وَاللَّهوُ خَفَّ عَلَيْهِم لَمَّا رَأَوْا

مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْعَانِ

---

(١) ينظر: «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٤١).

٢- سوء الخاتمة:

يؤكد أهل العلم علىٰ أن الإصرار علىٰ المعاصي وعدم التوبة منها من أعظم أسباب سوء الخاتمة، وذلك أن جميع ما ألفه الإنسان في حياته يعود ذكره عند الوفاة فإن كان الغالب عليه طاعة الله تذكر الطاعة عند موته، واشتاق إليها وربما فعلها فينال حسن الخاتمة، وإن كان الغالب عليه الإصرار علىٰ المعاصي فتذكر المعصية عند وفاته فيكون في قلبه اشتياق إليها، وربما فعلها، فيختم له بخاتمة الأشقياء.

وقيل في الأثر: «من عاش علىٰ شيء مات عليه»[(١)] وقد شهد الواقع كثيرًا من القصص الواقعية، التي تنعي إلينا أخبارًا عن سوء الخاتمة لأهل الغناء، فمنها ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أن رجلًا من أهل الغناء والمعازف حضرته الوفاة، فلما اشتد به نزع روحه، قيل له قل لا إله إلا الله فجعل يردد أبياتًا من الغناء، فأعادوا عليه التلقين: يا فلان قل لا إله إلا الله فجعل يردد الأغاني، فلما ثقل لسانه عن ترديد الكلمات جعل يردد الألحان حتىٰ خرجت روحه من جسده وهو يغني ويلحن).

---

(١) ينظر: «تفسير ابن كثير» ط. العلمية (٢/ ٧٥).

٣- باب للمعاصي:

الأغاني والمعازف -أحيانًا- تكون متعة في حد ذاتها لمستمعها، وأحيانًا تكون وسيلة لمتع أخرىٰ من معاصي وذنوب، فسماعك أغنية عن العشق والغرام يهيج فيك العاطفة ويدفعك إلىٰ ولوج باب معصية أخرىٰ وهي (الانحراف العاطفي)، أو سماعك لأغنية معينة ولها (فيديو مرئي) به ما به من النساء والمناظر غير اللائقة تجر بها إلىٰ باب إطلاق البصر.

وقال ابن القيِّم أيضًا: (اعلم: أن للغناء خواصَّ لها تأثيرٌ في صَبْغ القلب بالنِّفاق، ونَباتَه فيه كنَبات الزَّرع بالماء، فمن خواصِّه: أنه يُلهي القلب، ويصدَّه عن فَهْم القرآن وتدبُّره، والعمل بما فيه، فإنَّ الغناء والقرآن لا يجتمعان في القلب أبدًا لما بينهما من التَّضادِّ، فإنَّ القرآن ينهىٰ عن اتِّباع الهوىٰ، ويأمر بالعفَّة، ومُجانَبة شهوات النُّفوس، وأسباب الغيِّ، وينهىٰ عن اتِّباع خطوات الشَّيطان، والغناء يأمر بضدِّ ذلك كلِّه، ويحسِّنه، ويهيِّج النفوس إلىٰ شهوات الغيِّ؛ فيثير كامِنها، ويزعج قاطنها، ويحرِّكها إلىٰ كلِّ قبيح)[١].

---

(١) ينظر: «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٤٨).

○ **العلاج:**

١- تجنب أماكنها:

من خاف شيئًا ابتعد عنه وفرَّ منه، فأول خطوة هي اجتناب كل الأماكن التي يوجد فيها المعازف والأغاني، كي لا تفتن قلبك مرة أخرىٰ بها، ولكن إذا اضطررت لهذا، يجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحسنىٰ وتوضيح حرمة الأمر، وتذكر المكافأة الربانية لجهاد النفس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٩].

٢- استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى:

من الأشياء التي تُعين علىٰ التوبة من أي معصية هو استبدال اللذة الحرام بغيرها من الحلال إن وُجدت، فعليك بملء قلبك بسماع آيات الله كي يتطهر بذكر الله ويتطهر من خبث الغناء.

كما أن هناك أيضًا من الأناشيد الدينية الهادفة التي يمكن سماعها مما يعين علىٰ التحلي بالأخلاق الفاضلة وحب الرسول ولكن هذه الأناشيد لها ضوابط لتكون حلالًا:

١- أن لا يكون فيها معازف بشتىٰ أنواعها.

٢- أن لا تكون بصوت امرأة.

٣- أن تكون شعرًا حلالًا، لا يوجد فيها ما يثير العواطف ككلام الحب والغرام ووصف النساء.

٤- أن لا يحتوي علىٰ كلام محرم مثل الحلف بغير الله والنبي وأيضًا بعض الشركيات مثل (روحي بإيدك) وغير ذلك.



التبرج

التبرج في اللغة: الظهور والبروز والارتفاع؛ ولذا تستعمل كلمة «برج» لكل شيء ظاهر مرتفع، ومن هنا يُقال للبرج برج لارتفاعه وظهوره، ويقال للسفينة الشراعية بارجة لبروز شراعها من بعيد.

التبرج في الشرع: هو أن تُظهر المرأة للرجال الأجانب -الذين ليسوا من محارمها- ما يوجب عليها الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها.

○ **الحكم:**

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

وقال في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزَاب: ٥٩]، وقال أيضًا: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النُّور: ٣١].

قالت عائشة رضي الله عنها: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النُّور: ٣١] شققن أكتف مروطهن فاختمرن بها(١).

فقد قال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزَاب: ٥٩]: (أمر الله نساء المؤمنين، إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن، من فوق رءوسهن)(٢).

وقد جاءت أميمة بنت رقيقة إلىٰ رسول ﷺ تبايعه علىٰ الإسلام فقال: أبايعك علىٰ ألا تشركي بالله شيئًا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولىٰ(٣).

فكل تلك الآيات والأحاديث تدل علىٰ أن التبرج من كبائر الذنوب وأمر ليس عليه خلاف.

---

(١) رواه أبو داود (٤١٠٢)، وينظر: «تفسير الطبري» ت: شاكر (١٩/ ١٥٩).
(٢) وينظر: «تفسير الطبري» ت: شاكر (٢٠/ ٣٢٤).
(٣) رواه أحمد (٦٨٥٠).

○ البواعث:

١- لفت الأنظار:

لما خلق الله البشر خلق بداخلهم شهوات وغرائز، فخلق في الرجل محبة الرجولة والفحولة والقوامة وتحمل المسؤولية، وخلق المرأة في الدلال والاستمتاع بالتغزل فيها، والرغبة في سماع ذلك؛ لأن رأس مال أي امرأة في جمالها. فهذه الشهوة الكامنة في النساء هي من بواعث التبرج الأساسية التي تخلق التحدي بين النساء لإظهار المفاتن وكشف المستور بين البنات -إلا من رحم الله- لكسب أكثر النظرات والعبارات.

٢- مبررات واهية:

لا تخلو حياتنا ممن يدعون الخوف علينا ويسدون إلينا بالنصائح (الغالية).

أمثال: مازلت صغيرة علىٰ الحجاب، ارتداء الحجاب بعد الزواج، ستبدين غريبة!، الدين يسر، وربك رب قلوب، الدين في القلب، وأهم شيء سلامة النية.

ولكن للأسف هؤلاء خدعوك فقالوا «نصائح»؟ وما هي إلا مسكنات ضد تأنيب الضمير، ولو أرادوا بك خيرًا لنصحوك بالاحتشام والحجاب.

٣- جليسات السوء:

قال رسول الله ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[١] حذَّر النبي من مجالسة أصدقاء السوء لعدم التأثر بتفكيرهم وعادتهم وأسلوب حياتهم. فالبعض تتأثر بالبيئة المحيطة لها وترىٰ أن الحجاب سيشكل عائقًا أمام مواكبة (الموضة) أو آخر صيحات الملابس.

○ الآفات:

١- فساد المجتمع:

الإصرار علىٰ التبرج يساهم في إفساد المجتمع ككل لما يفعله من إفساد الكثير من الشباب، وإبعادهم عن طريق الله حتىٰ بدأ الشباب ينزل خصيصًا للنظر إي هذه وتلك!

وهناك شاهد علىٰ ذلك الكلام من حديث رسول الله ﷺ حين حذَّر من سقوط القيم والأخلاق في المجتمع علي غرار بني إسرائيل فقال: «**اتقوا النساء، فإنَّ فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٢]، فالرسول يقر بأن مجتمع بأكمله فسد بسبب تبرج النساء وإغوائهم لرجاله.

---

(١) رواه أحمد (٨٠٢٨)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣).

(٢) رواه أحمد (١١١٦٩)، ومسلم (٢٧٤٢).

من ناحية أخرىٰ نلاحظ انتشار وتفشي ظاهرة التحرش في الفترة الأخيرة، ومهما اختلفنا في أسبابها، فإننا نتفق أن زي النساء هو سبب من الأسباب الرئيسة الظاهرة، فالمتحرش حيوان مسعور لا يهمه نوع الفريسة ولكن كلما كان الوصول إليها أسهل . . أسرع في محاولة افتراسها!

٢- عداد المعاصي:

يقول المولىٰ ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ **[النّحل: ٢٥]**.

فكما أن من دعا إلىٰ معروف له ثواب، فالمتبرجة -للأسف- تحمل أوزار ومعاصي كل من ينظر إليها ويأخذ بذلك ذنبًا، ففي الخروج الواحد من البيت من الممكن أن تجد إحداهن آلاف السيئات يوم القيامة في ميزانها بسبب تبرجها، وفتنتها للشباب.

ودلل علىٰ ذلك قوله ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شيئًا**»[١]، قال النووي ؒ: من دعا إلىٰ هدىٰ كان له مثل أجور متابعيه، أو إلىٰ ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدىٰ والضلالة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك.

٣- كاسيات عاريات:

قال ﷺ في الحديث: «**سيكون في آخر أمتي رجال يركبون علىٰ سروج الرحال، ينزلون علىٰ أبواب المساجد، نسائهم كاسيات عاريات علىٰ رءوسهم كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات**»[(١)].

ذكر صريح من النبي بأن من تفعل ذلك الفعل وتظهر مفاتنها بأنها دخلت تحت دائرة اللعن، واللعن هو الطرد من رحمة الله. وفي شرح ذلك الحديث قال القاضي عياض: واستدلوا بهذا علىٰ أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة، ومعناه أن الله تعالىٰ يلعنه وكذا يلعنه الملائكة والناس أجمعون، وهذا مبالغة في إبعاده عن رحمة الله تعالىٰ فإن اللعن في اللغة هو الطرد والإبعاد، قالوا: والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه علىٰ ذنبه والطرد عن الجنة أول الأمر وليست هي كلعنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالىٰ كل الإبعاد.

---

(١) رواه أحمد (٧٠٨٣)، ومسلم (٢١٢٨)، وابن حبان (٨٣٤٦).

○ **العلاج:**

١- كوني بطلة:

أول خطوات العلاج هو امتلاك شجاعة القرار ومواجهة المجتمع والأقران بتلك الهيئة الجديدة التي قد لا تروق لبعضهم، وتحمل أذاهم من كلام وسخرية، نعمل أن القرار قد يكون صعبًا للبعض، لما فيه من تغيير للمظهر الخارجي للشخص وتعليقات من كل محيط المعارف.

لكن من تستعن بالله، وتخلص النية في ارتداء الحجاب وتقاوم نفسها الأمارة بالسوء أولًا، والبيئة المحيطة بتعليقاتهم السلبية ثانيًا، سيجعل الله لها فرجًا وسيثبتها علىٰ الطريق القويم مصداقًا لقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وقوله أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٢- خدعوك فقالوا:

ذكرنا أن من بواعث التبرج هي تلك الحجج الواهية وتلك المسكنات التي يقولها من يزعم انه ينصحك، فتعالىٰ نأخذ هذه الأوهام ونناقشها واحدة تلو الأخرىٰ.

- ربك رب قلوب، والدين في القلب.

الرد:

قال رسول الله ﷺ: «**ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل**»[1] .. وقال الحسن: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»[2]، فالعمل هو دليل الإيمان.

ولو تفكَّرنا معًا في أن العصب الخاص بالضرس عندما يموت فإن الضرس يسود بأكمله وكذلك عصب كل شيء، فالقلب هو عصب البدن فسواد البدن وفساده دليل علىٰ موت القلب، والمؤمنة تعلم حقًّا أن الله لم يخلقها عبثًا تفعل ما تفعله دون حساب!! بل إن الله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] .. فالله لم يخلق العباد عبثًا يفعلون ما علىٰ أهوائهم، بل جعل الإيمان تصديق وعمل وليس تصديقًا فقط.

- الدين يسر، ولبس الحجاب في هذا الزمان صعب.

---

(١) رواه اللالكائي (١٥١٦)، وأبو نعيم (٤٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٣٥١).

الرد:

يجب أن تعلمي -أختاه- أن كل ما ثبت إنما هو تكليف من الله جل وعلا لعباده في مقدورهم واستطاعتهم ووسعهم، فقد قال ﷻ في كتابه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

فكيف يكلفك الله بما هو فوق مقدرتك وقد وعدك بغير ذلك في قرآنه؟!

أما أن الدين يسر، فاليسر من جهة التخفيف للمشقة، كالمسافر الذي له الرخصة في القصر والصائم الذي يفطر في السفر وليس اليسر في ترك أمر الله تعالىٰ.

- ما زِلْتِ صغيرة علي الحجاب، (استمتعي بشبابكِ).

الرد:

الحجاب فرض علىٰ الفتاة عند سن البلوغ، فمن يقول ما زلت صغيرة أهو أدرىٰ أم الله؟! والله تعالىٰ يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فهو سبحانه خالق كل شيء وعالم بما يصلح كل شيء وهو سبحانه القيوم القائم بأمور عباده وأحوالهم.

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي

نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمَان: ٣٤]، فإذا كنتِ تعلمين الغيب وتأكدتِ أنك لن تموتي غدًا فانتظري حتىٰ تكبري، ولكن الغائب الحاضر هو الموت. فالموت -أختاه- يأتي بغتة وحينها لن تجدي فرصة أخرىٰ لارتداء الحجاب، فأي متعة تسعد الإنسان إذا كانت في سخط الله؟!

- لن تتزوجي، أتحبسين نفسك وراء الحجاب؟!

الرد:

من شروط الإيمان بالله هو الإيمان بالقضاء والقدر، والله تعالىٰ قد قدر من قبل وجود تلك البشرية لكل إنسان رزقه واسمه وشقاوته أو سعادته في هذه الدنيا، فيجب عليك الإيمان بأن أمر الزواج هو من أقدار الله مثل أمر إنجاب الأطفال، فإذا جاءت فيها ونعمت وإذا لم تأتِ فهذا هو القدر.

كما أن الله هو «الرزاق» فالأولىٰ طلب أمر الزواج منه، خيرًا من تلمس إياه في الطرقات ونزع الحياء، واعملي أن بطاعتك لله بحجابك قد فزت بوعد الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطّلَاق: ٤] . . بل سيرزقك الله بالزوج الصالح الذي ما اختارك إلا لدينك وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطّلَاق: ٢].

- كم من محجبة علىٰ خلق ذميم، وكم من متبرجة علىٰ خلق حسن.

الرد:

لماذا وضعت نفسك في هذين الخيارين؟! إما محجبة سيئة السلوك إما متبرجة حسنة السلوك ألا يمكن أن تجمعي بين الحسنين فتكوني محجبة حسنة السلوك؟! فالله تعالىٰ أمر بالحجاب كما أمر بحسن الخلق!

فالعيب ليس في الحجاب وإنما في سيئة الخلق!

- ستبدين غريبة في وسط زملائك وسوف يسخرون منك.

الرد:

يقول الرسول ﷺ: «**من أرضىٰ الله بسخط الناس** رضي الله عنه **وأرضىٰ الناس، ومن أسخط الله برضىٰ الناس سخط الله عليه وأسخط الناس**»[1].

وأمر الله كله لك خير، وصديقتك الصالحة من تحب لك الخير وتعينك عليه، لا تسخر منك!

---

(١) رواه عبد بن حميد (١٥٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٩٦).

٣- بُعدًا لكُنَّ:

يقول رسول الله ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[(١)]، فالإنسان عادة يتأثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمن يحيط به، ويقينًا أن البعد عن هذا المحيط سيكون عنصرًا مهمًا في اتخاذ القرار والثبات علىٰ الطريق القويم.

فعن أنس بن مالك قال، قال النبي ﷺ: «**مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صاحب المسك ونافخ الكير، لا يعدمك من صاحب المسك، إما أن تشتريه أو تجد ريحًا طيبًا، وكير الحداد، يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة**»[(٢)]، فاجتناب نفخات الكير هو سبيل السلامة.

شروط الحجاب الصحيح:

١- ستر جميع البدن.

٢- ألا يكون شفافًا بأن يكون سميكًا.

٣- ألا يكون ضيقًا بأن يكون فضفاضًا واسعًا.

٤- ألا يكون معطرًا.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣).

(٢) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، وأبو داود (٤٨٣٣).

قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت علىٰ قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**»[١].

٥- ألا يكون زينة في نفسه أي غير ملفت النظر.

٦- ألا يشبه لباس الرجال.

قال أبو هريرة: «لعن رسول الله الرجل يلبس كلبس المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»[٢].

٧- ألا يشبه ملابس غير المسلمات «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٣].

أَكْثَرُوا مِنْ عِتَابِي بَعْدَ لِبْسِ الحِجَابِ
بِتُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حِيرَةٍ وَاضْطِرَابِ
حَدَّثُونِي فَقَالُوا مَنْ لَبِسْتِ الحِجَابَ
خَانَكِ السَّعْدُ عُودِي حُرَّةً كَالسَّحَابِ
جَاءَنِي بِالوُرُودِ نَاصِحًا ذُو وُعُودِ
رَبَّةَ الحُسْنِ عُودِي لِلهَنَا وَالسُّعُودِ
وَلَكِنْ كَيْفَ كَيْفَ أَنْزِعُهُ؟!

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٧٨)، والنسائي (٥١٢٦).

(٢) رواه أحمد (٨٣٠٩)، وأبو داود (٤٠٩٨).

(٣) رواه أحمد (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١).

كَـيْـفَ لِـي أَنْ أُزِيـلَ الـحِـجَـابَ الأَصِـيـلَ
صَـارَ مِـنِّـي كَـبَـعْـضٍ صِـرْتُ مِـنْـهُ حَـلِـيـلَـة
لَـنْ أُمِـيـطَ غِـطَـاءَهُ رَغْـمَ مُـرِّ الـخَـفَـاءِ
شَـــرْعُ رِبِـــي دَلِـــيـــلَـــهُ، لاَ وَالأَذْعِـــيـــاءِ



خاطرة

أحد المشايخ الفضلاء[1] يقول: كنت في رحلة دعوية إلىٰ بنجلاديش مع فريق طبي أقام مُخيمًا لعلاج أمراض العيون فتقدَّم إلىٰ الطبيب شيخٌ وقورٌ ومعه زوجته بتردد وارتباك، ولما أراد الطبيب المعالج أن يقترب منها فإذا بها تبكي وترتجف من الخوف، فظنَّ الطبيب أنها تتألم من المرض، فسأل زوجها عن ذلك، فقال وهو يغالب دموعه إنها لا تبكي من الألم، بل تبكي لأنها ستضطر أن تكشف وجهها لرجل أجنبي: لم تنم ليلة البارحة من القلق والارتباك وكانت تعاتبني كثيرًا: أو ترخص لي أن أكشف وجهي . . .؟! وما قبلت أن تأتي للعلاج إلا بعد أن أقسمت لها

(١) من سلسلة تصدر عن مجلة البيان «في البناء الدعوي» (المجموعة الأولىٰ: تأليف أحمد عبد الرحمن الصويياني)، هذه القصة بعنوان «ويبقىٰ العود ما بقي اللحاء».

أيمانًا مغلظة بأن الله تعالىٰ أباح لها ذلك عند الاضطرار، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعَام: ١٤٥].

فلما اقترب منها الطبيب، نفرت منه، ثم قالت: هل أنت مسلم؟ قال: نعم، والحمد لله، قالت: إن كنت مسلمًا . . إن كنت مسلمًا . . فأسألك بالله ألا تهتك ستري إلا إذا كنت تعلم أن الله أباح لك ذلك . . . !

أجريت لها العملية بنجاح وأزيل الماء الأبيض، وعاد إليها بصرها بفضل الله تعالىٰ، حدَّث عنها زوجُها أنها قالت: لولا اثنتان لأحببت أن أصبر علىٰ حالي ولا يمسني رجل أجنبي: قراءة القرآن، وخدمتي لك ولأولادك.

ما أعظم شموخ المرأة المسلمة بعزتها وعفتها، وما أجمل أن تُرىٰ المرأة مصونةً فخورةً بحشمتها!!



الانحرافات الجنسية

لما خلق الله الإنسان خلقه في أحسن وأعدل صورة، فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، ومن ضمن تلك الخلقة السوية أوجد فيه شهوات متجددة كالجوع والعطش والجنس والحب وغيرها.

ومما وضعه الله في بني البشر الشهوة التي يحصل بها النسل وتستديم حياة البشر ونظام الكون؛ لذا فإنها من التقويم الحسن الذي خلق الله الإنسان عليه، وحرم الله قطع هذه الشهوة وفق ما جاء من حديث النبي ﷺ ما روىٰ عبد الله بن مسعود قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك. وقد قال ابن حجر تعليقًا علىٰ هذا التحريم والحكمة في منع الإخصاء: أنه خلاف ما أراده الشارع من تكثير النسل، كما أن فيه من المفاسد: تعذيب النفس، والتشويه، مع إدخال الضرر الذي

قد يفضي إلىٰ الهلاك، وفيه إبطال معنىٰ الرجولية التي أوجدها الله فيه، وتغيير خلق الله، وكفر النعمة، وفيه تشبه بالمرأة، واختيار النقص علىٰ الكمال.

وأمر هذه الشهوة مثله مثل ما في الإنسان من حب وبغض، وإرادة، وإقبال وإدبار، وغضب وحلم، وأناة ورفق، ورحمة وقسوة؛ ولكن المحك الأساسي هو أن تضع هذه الأشياء في موضعها الصحيح حتىٰ تستقيم الحياة، فتضع الحب في قالبه المطلوب، وهو محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، وتضع البغض في قالبه المطلوب، وهو بغض أعداء الله، وكذلك الإرادة توضع في كل ما يريده الله ويرضاه، والإقبال علىٰ طاعة الله، والإدبار عن معصية الله، والغضب عندما تُنتهك حرمات الله أو الغضب عند القتال، والحلم بمن يخطئ حتىٰ يصحح خطأه، والتأني في العمل يجعله ناجحًا محكمًا، والرفق في أي شيء يزينه ويجمله، والشدة مع من يتكرر خطؤه وتخشىٰ دوائره واجبة، والرحمة بالولد وبالزوجة وبالمؤمنين مطلب شرعي، والقسوة مع المجرمين المخربين شيء ضروري لدحض الباطل.

فهكذا هي شهوة الجنس، حتىٰ لا نتصورها شبحًا مخيفًا؛ فهي مثل ما سبق، نحتاج إلىٰ أن نضعها في نصابها الصحيح، وهو

إنجاب الذرية وبقاء النسل فتستمر حركة الحياة، دون أن نضعها في غير مسارها الذي يغضب الله ﷻ، وهو الزنا أو العادة السيئة أو الشذوذ؛ فيضطرب النظام الكوني ويعم الفساد.

وسوف نناقش في ذلك الجانب وضع الشهوة في مكانها الخاطئ من عادة سرية وزنا وشذوذ جنسي، وقد فرقنا كل انحراف علىٰ حدة، وجمعنا العلاج في باب واحد للثلاث، وفصلنا في ما يلزم فيه التفصيل.



العادة السيئة

○ **تعريف العادة السيئة** (masturbation):

هي تعمُّد إخراج المنيِّ ووضعه في غير محله، دون وطء في فرج، وذلك بالتفكير أو استعمال يد أو حائل أو غير ذلك.

وهذه العادة تختلف من ممارس لآخر، من حيث الوسائل المستخدمة من أجل الوصول إلىٰ القذف، وتختلف أيضًا في معدل ممارستها؛ فمن الشباب من يمارسها بشكل منتظم يوميًّا أو أسبوعيًّا، ومنهم من يمارسها عدة مرات في اليوم الواحد - عفانا الله وإياهم.

ومعناها بالإنجليزية: ممارسة الإساءة للنفس، ومفهومها الجنسي هو التدنيس باليد، وتُسمىٰ:

١- العادة السيئة.

٢- العادة السرية.

٣- الاستِمناء.

وسُميت بالعادة السرية لأن الشخص يقوم بها وحيدًا وبعيدًا عن الناس، خوفًا من أن ينكشف أمره.

○ بواعث العادة السيئة:

١- السماع عنها من خلال الرفقاء والأصدقاء، ثم ممارستها من باب حب الفضول ورغبة في إتمام الفحولة.

٢- مشاهدة الأفلام التي تثير الغرائز وتحرك الشهوات، بالإضافة إلىٰ إطلاق البصر لرؤية المحرمات، ومع تكرار النظر تحتاج النفس إلىٰ قضاء الشهوة المتوقدة داخلها.

٣- الجهل بحكمها الشرعي وأضرارها، وللأسف أكثر مَن يقع في ممارستها من الشباب تجده يسأل عن مدىٰ حرمتها ومدىٰ ضررها بالبدن.

٤- سهولة عادة الاستمناء، فهذه العادة فعلها لا يكلف شيئًا ولا يستغرق وقتًا، فيمارسها الشاب حتىٰ تصبح عادة.

○ **الحكم:**

قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

دلَّت هذه الآية المباركة علىٰ القول بتحريم الاستمناء؛ لأنه بذلك قد ابتغىٰ وراء ما أحله الله، وقد استدل الإمامان مالك والشافعي بهذه الآية علىٰ تحريمه.

وقال البغوي في تفسيره لهذه الآية: ﴿ٱلۡعَادُونَ﴾: أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلىٰ الحرام، فيه دليل علىٰ أن الاستمناء حرام، وهو قول أكثر العلماء(١).

قال الله تعالىٰ أيضًا: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

أوجب الله في هذه الآية الاستعفاف عند العجز عن الزواج، وجعل أمام العبد خيارين: إما الزواج أو العفاف، ولو في الاستمناء حلًّا لبيَّنه الله في الآيات، مما يدل علىٰ تحريمه.

وقد قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «ولما لم يجعل الله

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٤١٠).

بين النكاح والعفة درجة، دلَّ علىٰ أن ما عداهما محرم، ولا يدخل في مِلك اليمين، لأنه بنصٍّ آخر مباح وهو قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦]؛ فجاءت فيه زيادة ويبقىٰ علىٰ التحريم الاستمناء»[١].

○ **الآفات:**

الأضرار النفسية:

١- الشعور بالاحتقار وتأنيب الضمير المستمر؛ نظرًا لأن لذة هذه العادة وقتيَّة وسرعان ما تترك بعدها الشعور بالندم واحتقار الذات، بالإضافة إلىٰ الشعور بالنفاق نتيجة إحساسه بحرمة وقبح ما يفعله وكتمانه لهذا الأمر.

٢- التوتر والقلق الدائمان، وتعطيل القدرات، وذلك بتولد الرغبة الدائمة في النوم لتعويض المجهود الذي بذل، مما يؤرقه لعدم استطاعته إنجاز أي شيء.

٣- إحساس الممارس باليأس والإحباط نظرًا لعدم قدرته علىٰ الخروج من سجن هذه العادة، لاسيما من يمارسها بانتظام،

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٤٤).

فهو يحاول الإقلاع عنها فينجح لفترة محدودة ثم ما يلبث أن يعود لها من جديد فتسوء نفسيته، فهو يدور في حلقة مفرغة.

٤- زوال الحياء والعفة؛ فلا عجب أن ترىٰ الشاب الذي كان لا يجرؤ علىٰ النظر إلىٰ العورات المحيطة به، أصبح يلاحق العورات ويتتبع مواطن الفتن.

٥- استمرار ممارستها بعد الزواج لما لها من متعة مغايرة عن متعة الزواج، وهذا من الخدع التي يُخدع بها البعض بأن المتعتين متساويتين.

المخاطر الطبية: (الكلام مستند إلىٰ عدة تقارير طبية)

١- الإسراف في ممارسة العادة السرية قد يؤدي للإصابة بالضعف أو العجز الجنسي؛ حيث يصعب علىٰ كلا الجنسين إشباع حاجاتهم الجنسية، وتفسير ذلك أن العادة السرية تجعل الشخص يمارس العملية الجنسية بصورة مختلفة عن الواقع، وهو خلاف ما يحدث أثناء العلاقة الحميمية.

٢- كثرة ممارستها تعرض الأعضاء التناسلية للإصابة بالالتهابات الفطرية المتكررة.

٣- العادة السرية لا تؤثر بصورة مباشرة علىٰ المفاصل أو العظام أي لا تؤثر علىٰ العظام، ومكونات المفاصل، ولكن

الإجهاد العام نتيجة الإفراط في الممارسة قد يسبب ضعفًا عامًّا وإجهادًا فيكون الألم المؤثر علىٰ المفاصل والعظام.

٤- كثرة ممارسة العادة السرية وهي نوع من الإدمان، يسبب حالة من التهاب البروستاتا لدىٰ الرجل بشدة، نتيجة الكثير من الأسباب منها أن العادة السرية نمط جنسي لا يسبب اللذة والإشباع الكامل كإشباع العلاقة الكاملة، كما أن العادة السرية تسبب تأجيلًا في كثير من الأحيان للقذف لفرط الإثارة والمزيد من الاستمتاع، وهو ما يجعل مدمن العادة الأكثر عرضة للبروستاتا ومشكلاتها.



الـزنـا

○ **الحكم:**

حرَّم الله الزنا وبيَّن قبحه في كتابه العزيز، وحذَّر عباده من الوقوع فيه؛ بل من مجرد القرب منه فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

كما جعل الله البعد عن الزنا من صفات عباده، عباد الرحمن، وتوعَّد أيضًا من يقترفه بمضاعفة العذاب يوم القيامة؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

وانظر إلىٰ كلام العلامة ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» حيث قال: «ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، وهي

منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة المحرمات كانت تلي مفسدة القتل في الكبر»[1].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أعلم بعد قتل النفس شيئًا أعظم من الزنا»[2].

وقد قال أحد الصالحين: إن الزاني يحط نفسه من سماء الفضيلة إلىٰ حضيض الرذيلة، ويصبح بمكان من غضب الله ومقته، ويكون عند الخلق ممقوتًا وفي دنياه مُهان الجانب، عديم الشرف، منحط الكرامة.

○ حد الزنا:

نصَّ العلماء علىٰ حد الزنا فقالوا: إذا كان الزاني مُحصنًا -أي متزوجًا- مكلفًا حرًّا بالغًا عاقلًا، يُرجم بالحجارة حتىٰ يموت، رجلًا كان أو امرأة، في قول أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع العصور، وإذا زنا المكلف الحر البالغ العاقل غير المحصن فيُجلد مائة جلدة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

---

(١) «الداء والدواء» لابن القيم (ص١٥٠).

(٢) السابق.

وثبت مع الجلد تغريبُ عامٍ، أي نفي لمدة عام؛ لما ثبت في سنة النبي ﷺ كما في سنن الترمذي[1] أن النبي ﷺ ضرب وغرَّب، وأن أبا بكر ضرب وغرَّب، وأن عمر ضرب وغرَّب، وقال النبي ﷺ: «**البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام**»[2].

وخصَّ الثيب أي المتزوج لكونه مصونًا عن التعرض للزنا، فزال عذره من جميع الوجوه، وكملت في حقه النعمة، ومن كملت في حقه النعمة فجنايته أكثر فحشًا، وعقوبتها أشد، أما غير المتزوج فعقوبته أخف.

○ البواعث:

١- ضعف الإيمان:

دائمًا هناك صراع بين الإيمان والشهوات، وكلاهما محله القلب؛ فتكون الغلبة لأحدهما، فتنقاد الجوارح والأعضاء للغالب فيسخرها كما يريد، وهذا واردٌ في حديث رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[3].

---

(١) سنن الترمذي (١٤٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٦٦٦)، ومسلم (١٦٩٠)، وابن ماجه (٢٥٥٠).

(٣) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

فالرسول ﷺ أوضح بهذا الحديث باعث رئيس من ضمن بواعث الزنا متعلق بالقلب ألا وهو ضعف الإيمان وغلبة الشهوة، وكما جاء في النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[(١)].

٢- الثمرة الخبيثة:

قال علي بن أبىٰ طالب رضي الله عنه: «لا تصحب الفاجر فإنه يزين لك فعله، ويود لو أنك مثله»[(٢)].

وقال بعض السلف: إيَّاك ومجالسة الأشرار؛ فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري.

فالمرء لا يفسد وحده، فكلُّ هذه البلايا أصلها صحبة السوء، فانظر إلىٰ الزهرة أو الثمرة حين تجاورها زهرة أو ثمرة خبيثة فإنها تفسدها، وكذلك الصحبة السيئة تفسد كل ما هو صالح وتعكر كل ما هو نظيف.

فصحبة السوء باب من ضمن أبواب الوقوع في هذه المعصية، كما هي باب لأي معصية أخرىٰ!

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) «الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة» للراغب (ص٢٥٨).

٣- سرور عاد بالضرر:

قال الشاعر:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ

وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ بَلَغَتْ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهَا

كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ القَوْسِ وَالوَتَرِ

إطلاق البصر هو الشرارة الأولىٰ التي توصل إلىٰ نار الفاحشة والعياذ بالله، فالله ﷻ قال في كتابه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فكم من نظرة تبعتها ابتسامة ثم كلمة فسلام فموعد فلقاء فمصيبة؟!

وإن شئت فتتبع حال أي شاب ولج في هذا المستنقع كيف بدأ؟! ستجد أن البداية كانت «نظرة»، وقد بيَّن الله لنا ذلك فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، انظر كيف قرن الله سبحانه بين غض البصر وحفظ الفرج، وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم**»[(١)].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٧) وابن حبان (٢٧١).

٤- الاختــلاط:

قال عليه الصلاة والسلام: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر علىٰ الرجال من النساء**»[(١)]. فسهولة الاختلاط بين النساء والرجال بلا ضابط ولا رابط سبب لتلك الفاحشة.

فالله تعالىٰ قد فطر الرجال والنساء علىٰ ميل كل منهما إلىٰ الآخر، وجعل في الرجال إقبالًا إلىٰ النساء وفيهن إقبالًا إلىٰ الرجال، ومع هذا الميل وضع الله تعالىٰ حدودًا بينهم، ومن يتعدها فقد ظلم نفسه. وقد قال ﷺ: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[(٢)].

وفي مقابلة أجرتها مجلة البيان في عددها **١٥٠** مع امرأة بريطانية أسلمت وتسمَّت عائشة، أثناء ندوة بعنوان «واقع المرأة في الغرب»، قالت: «التعليم المختلط يشجع علىٰ العلاقات بين الأولاد والبنات، وإذا أُحصي عدد المراهقات الحوامل من مدارس مختلطة ومن مدارس بدون اختلاط (خصوصًا المدارس الإسلامية) لوجدنا في الغالب أن نسبة الوقوع في الفاحشة في المدارس المختلطة تكون **٥٧%** علىٰ الأقل مقارنة بالمدارس التي

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٥).

تطبق الفصل بين الجنسين، بنسبة لعلها قربت من ٥٥٪، (في حين ستجد أن النسبة في المدارس الإسلامية هي الصفر)، كما أنني أعتقد أن اختلاط الجنسين يؤدي إلىٰ عدم تركيزهم من الناحية الدراسية؛ لأن اهتمامهم سيكون موجهًا للجنس الآخر».

○ **الآفات:**

١- الأمراض الجنسية:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين، خصال خمس إن ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتىٰ يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . . .**»[١].

النبي ﷺ يوضح أن الفواحش إذا انتشرت في قوم تتسبب في ظهور أمراض وأوجاع لم تكن موجودة من قبل؛ فهل سمعت عن مرض الزهري أو السيلان فيما مضىٰ؟ وهل سمعت عن مرض الإيدز؟

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبزار (٦١٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١).

ومما أصدرته مجلة البيان في الملحق السنوي عام **١٤٢٢**هـ ما نصه:

يبلغ عدد الذين يصابون بالمرض يوميًّا علىٰ مستوىٰ العالم عشرة آلاف شخص، وفي كل دقيقة يُصاب ستة أشخاص دون سن الخامسة بعدوىٰ الإيدز، وفي عام **٢٠٠٠**م لقي ما يقرب من ثلاثة ملايين شخص من حاملي المرض مصرعهم، وقد تسبب الإيدز في إضافة ثلاثة عشر مليون ومائتي ألف طفل في قائمة الأيتام، كما يُقدَّر عدد المصابين به في عام **٢٠٠٠**م بأربعة وثلاثين مليونًا، وأربعمائة ألف مصاب ثلثهم من بين أعمار الخامسة عشر إلىٰ الرابعة والعشرين عام.

وفي إحصائية أخرىٰ قتل الإيدز أكثر من مليوني شخص عام **٢٠٠٧**، بينهم **٣٠٠** ألف طفل! والآن هناك **٣٣** مليون إنسان يحملون الفيروس وينتظرون الموت في أي لحظة!

٢- الجزاء من جنس العمل:

قال الإمام الشافعي:

إِنَّ الـــزِّنَـــا دَيْـــنٌ إِذَا أَقْـــرَضْـــتَـــهُ

كَـانَ الـوَفَـا مِـنْ أَهْـلِ بَـيْـتِـكَ فَـاعْـلَـمِ

ومن سنن الله في كونه أن كما تفعل يُفعل بك، وكما تُجازِي

تُجازَىٰ، وهذا من عدل الله وحكمته، فالأعراض خاضعة لهذه السنة الربانية فكما ستنتهك منها سيُنتهك من عرضك!

وقد حذرنا النبي ﷺ من ذلك، حين حذر الشاب الذي جاء فاستأذنه في الزنا فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه! مه! فقال له رسول الله: «**ادنه**». فدنا منه قريبًا. فجلس. فقال له رسول الله: «**أتحبه لأمك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». فوضع رسول الله يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجه**». فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء[1].

---

(١) رواه أحمد (٦١٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٩).

فهل أنت مستعد أن تبتلىٰ في عرضك في مقابل التنفيس عن شهواتك؟!

وقد قال أحد العارفين: «الزنا عاره يهدم البيوت الرفيعة، ويطأطئ الرءوس العالية، ويسوِّد الوجوه البيض ويخرس الألسنة البليغة، ويهوي بأطول الناس أعناقًا وأسماهم مقامًا وأعرقهم عزًّا، إلىٰ هاوية من الذل والازدراء والحقارة ليس لها من قرار»[1].

وهو أقدر أنواع العار علىٰ نزع ثوب الجاه مهما اتسع، وهو لُطخة سوداء، إذا لحقت أسرة غمرت كل صحائفها البيض وتركت العيون لا ترىٰ منها إلا سوادًا حالكًا، وهو العار الذي يطول عمره طويلًا، فقاتله الله من ذنب وقاتل فاعليه».

٣- عذاب التنور:

عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأىٰ أحد منكم من رؤيا**»؟ قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما ... فأتينا علىٰ مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات، فاطّلعنا فيه، فإذا فيه**

---

(١) انظر: «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٥/ ٨٧).

رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا. قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق. فانطلقنا ... قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك ... وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني ...»[1].

فالنبي ﷺ ليلة أُسْرِيَ به رأىٰ الزناة عراة -وهو غالب حالهم أثناء ارتكاب المعصية- في مكان شبيه بالتنور -أي الفرن- متسع من أسفله وضيق من أعلاه ويشتعل من تحتهم نارًا، تأتيهم من أسفل منهم كما كانت معصيتهم من أسفلهم، حتىٰ إذا وصلوا إلىٰ فتحة التنور وظنوا بأنهم سيخرجون، أُخمد اللهب من أسفل منهم ورجعوا إلىٰ مكانهم مرة أخرىٰ! فمن يستطيع احتمال ذلك العذاب؟!

٤- هل من شهود؟!

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠٩٤)، والبخاري (٧٠٤٧).

﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٤].

فتأمل هذا المشهد يوم القيامة حين يشهد عليك سمعك، فيقول لقد استمعت إلىٰ الحرام في يوم كذا، ويقول بصرك لقد نظرت إلىٰ الحرام يوم كذا، ويقول جلدك لقد فعلت الحرام ومشيت إلىٰ الحرام يوم كذا، وما لك من وليٍّ ولا نصير!

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فَضَحِكَ، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا أَضْحَكُ**»؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَفَىٰ بِنَفْسِكَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ وَيُقَال لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: تَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ**

الْكَلامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[1].

٥- الدقائق الأخيرة:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن كان مشغولًا بالله وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلىٰ الله، ومن كان مشغولًا بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره معه عند الموت، ما لم تدركه عناية ربه»[2].

هنا يشير ابن القيم إلىٰ معنىً مهم وخطير، وهو أن الدقائق الأخيرة في حياة الإنسان ما هي إلا ترجمة حقيقية لعمره الذي أفناه، إما في الطاعة أو في المعصية، وهذا أمر في غاية العقلانية؛ فمن كانت حياته مليئة بالذكر والقرب من الله فسوف يختم له بخاتمة السعداء بمشيئة مولاه، ومن كانت حياته مليئة بالفجر والمجون فسوف يختم له بخاتمة الأشقياء والعياذ بالله، وكما جاء في الأثر: «من عاش علىٰ شيء مات عليه». فيا لها من طامة ومصيبة إذا مت علىٰ هذه المعصية كيف ستلقىٰ ربك؟! وماذا ستقول له ساعتها؟!.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٩).

(٢) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٣٠٨).

وكم قد سمعنا مِن قصص مَن مات وهو ساجد، أو مات وهو يقرأ القرآن، أو يحج إلىٰ بيت الله، وكذلك كم قد سمعنا عمن مات وهو يزني أو يتعاطىٰ المسكرات أو المخدرات، فاختر لنفسك أيها الحبيب علىٰ أي حال تريد أن تقضي الدقائق الأخيرة.

٦- وحشة في القلب:

ومن عقوبات الزنا أنه يوقع الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد والخلق؛ فلا يجد من يسليه ولا يجد من يعينه، يشعر كأنه وحده في هذا الكون.

يقول ابن القيم: «والزنا يجمع خلال الشر كلها؛ من قلة الدين وذهاب الورع، وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة علىٰ صديق، ولا غيرة تامة علىٰ أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شُعَبه وموجباته، ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله . . . ومنها سواد الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين»(١).

---

(١) «روضة المحبين» لابن القيم (ص٣٥٩).

خاطرة
أبو بكر المسكي

إن سبب تسميته بهذا الاسم (المسكي) أن امرأة استدرجته إلىٰ بيتها وهو يبيع، ثم راودته عن نفسها وأغلقت الأبواب، فقال لها أريد دورة المياه، فلما دخل ليقضي حاجته لطخ نفسه بفضلاته وغائطه، فلما خرج عليها لم تتحمل أن تراه وطردته من منزلها، فنجا بذلك من الفاحشة، وقيل كان رائحته المسك بعد ذلك تكريمًا من الله لصنيعه هذا.



الشذوذ الجنسي

○ **التعريف:**

الشذوذ الجنسي فهو: السلوك المنحرف من ناحية الشهوة الجنسية، وهذا التعريف يشمل جميع الشذوذ الجنسي، فكلمة سلوك تشمل السلوك النفسي والسلوك الظاهري، فالسلوك النفسي هو الشهوة التي تكون في داخل النفس والميول إلىٰ ذلك، وأما السلوك الظاهري فهو القيام بارتكاب هذه الفاحشة فعليًّا.

أما الاصطلاح الشرعي فـ اسم هذا النوع يسمىٰ بـ (فاحشة عمل قوم لوط)، فهو من جملة الفواحش والرذائل التي حرمها الله جل وعلا.

○ **الحكم:**

اللواط من كبائر الذنوب ومن أفظع الفواحش، ومن انتكاس الفطرة، وقد ذكره الله في القرآن في موضع الاستنكار: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦٦].

وفي موضع آخر قال تعالىٰ في حفظ الفرج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

أي الذين حفظوا فروجهم من الحرام من زنا أو لواط أو غيره، فمن وضع شهوته فيما أحلَّ الله فلا حرج عليه، أما من ابتغىٰ غير الأزواج والإماء فهم المعتدون.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[١].

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٧)، والترمذي (١٤٥٦)، وأبو داود (٤٤٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط**»[1].

○ حد عمل قوم لوط:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصحيح الذي عليه الصحابة أنه يقتل الاثنان الأعلىٰ والأسفل إن كانا محصنين أو غير محصنين.

وقال: ولم يختلف الصحابة في قتله، وبعضهم يرىٰ أنه يرفع علىٰ أعلىٰ جدار -أي بناء- في القرية، ويتبع بالحجارة، وقال الموفق: ولأنه إجماع الصحابة أي قتل من يعمل عمل قوم لوط فإنهم أجمعوا علىٰ قتله وإنما اختلفوا في صفته؛ فقد ذهب أبو بكر وعلي إلىٰ القتل بالسيف ثم الحرق لعظم المعصية، وذهب عمر وعثمان إلىٰ أن يُلقىٰ عليه حائط، وذهب ابن عباس إلىٰ أنه يُلقىٰ من أعلىٰ بناء في البلد.

وعن أحمد: حدُّه الرجم بِكرًا كان أو ثيبًا، وهو قول مالك وغيره في أحد قولي الشافعي، لما ورد في حديث ابن عباس

---

(١) رواه أحمد (٢٩١٣).

مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[1].

فالاتفاق هنا في القتل والاختلاف في كيفية القتل، ولعل الحكمة من إلقائه من أعلىٰ قمة، هي قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: ٧٤].

والبعض يرىٰ إتباعه بالرجم، وذلك لقوله ﷻ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٦٢].

سؤال محير . . هل الشذوذ الجنسي أمر فطري أم مكتسب؟!

يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. أي أنه لا يكلف النفس أكثر ما تطيق، فما حرَّم شيئًا عليها إلا وهو يعلم أنها في وسعها تركه، فلو كان هذا الأمر فطريًّا فلماذا عذب قوم لوط بعملهم؟! ولـمَ نهىٰ عنه في كتابه وجعله من المحرمات؟!

ومن الناحية العلمية لا يوجد دليل علمي قوي علىٰ أن الشواذ يولدون مع هذه المشاعر الشاذة، وقد اعترفت بذلك دول الغرب،

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٧)، والترمذي (١٤٥٦)، وأبو داود (٤٤٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١).

وكانوا يصنفون الشذوذ كمرض نفسي إلىٰ أن تم حذفها تحت ضغط جمعيات «حقوق الشواذ»، حتىٰ وصل الأمر في بعض الدول إلىٰ السماح بزواج الشواذ!

وأغلب من خاض هذه التجربة قد تعرض لمعطيات خارجية أدت إلىٰ انحراف سلوكه السوي، مثل التعرض للتحرش الجنسي في الصغر أو التأثر بالمجتمع المحيط، وفي إحدىٰ الدراسات قال نحو ٨٠% من الرجال الشواذ الذين شملتهم الدراسة إنهم تعرضوا لانتهاك جنسي علىٰ يد شخص بالغ قبل وصولهم لسن العاشرة.

كما أن الخطر في الاعتقاد بـ «فطرية الشذوذ» أنها تستلب من الفرد المبتلىٰ بالشذوذ أي إحساس بالجدوىٰ من مقاومة ابتلائه، سيؤمن ببساطة أن هناك جينات غامضة تحكمت به قبل أن يولد، وبالتالي لا معنىٰ ولا جدوىٰ في محاولة الإصلاح.

وتقول الدكتورة هبة قطب في لقائها: «بالإيمان والعلاج نهزم الشذوذ» في «بوابة الوفد»: «الجدير بالذكر أنه حتىٰ عام ١٩٧٨م كان المعترف به عالميًّا أن الشذوذ انحراف سلوكي وقابل للعلاج، ومنذ ١٩٧٨م وحتىٰ ١٩٩٦م تضاربت الأبحاث، وانقسم العلماء بين أنه خلقة طبيعية وبين مؤكد أنه مرض، ولكن بعد ١٩٩٦م أجمعوا علىٰ أنه خلقة طبيعية بلا علاج، والسؤال الذي يطرح

نفسه: هل نصدق أبحاثهم ونكذب أدياننا السماوية التي أكدت علىٰ خلق البشر ذكرًا وأنثىٰ؟! بل نفهم من ذلك أن الشذوذ مرض يمكن الشفاء منه بالطبع، والدليل الحالات التي تأتي إلىٰ العيادة ويتم شفاؤها بفضل الله».

○ **من أسباب الشذوذ الجنسي:**

- غياب الرقابة الأسرية الإيجابية.

- الهروب من مواجهة التعرض الأول للتحرش للأطفال والمراهقين بسبب الخوف أو الخجل.

- عدم مناقشة ما حدث للطفل أو المراهق من قبل الأهل وتجاهلها إذا علموا بها.

- إلقاء اللوم علىٰ المعتدَىٰ عليه في المرة الأولىٰ من الأهل والمجتمع مما قد يؤدي إلىٰ الإصابة بمتلازمة ستوكهولم(١).

---

(١) متلازمة ستوكهولم هو مصطلح يطلق علىٰ الحالة النفسية التي تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو من أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المخطوف مع المُختَطِف.

○ حقيقة اعتراف الغرب بالشذوذ الجنسي:

يقول الدكتور أوسم وصفي في كتابه «شفاء الحب»:

«في أواخر الستينات وأوائل السبعينات عرف الغرب ما يُسمىٰ بالثورة الجنسية؛ يرجع البعض ظهور هذه الثورة إلىٰ اختراع حبوب منع الحمل سنة **١٩٦٠** كوسيلة سهلة ومؤكدة؛ آخرون يرجعونها إلىٰ تحرر النساء نتيجة للاستقلال الماديّ الذي حصلن عليه بعد دخول أعداد كبيرة منهن إلىٰ سوق العمل بعد الحرب العالمية الثانية؛ فريق ثالث يُرجع ذلك إلىٰ استمرار تيار التحديث والتصنيع مع بداية القرن التاسع عشر، وتناقص المشاعر الدينية وبالذات بعد ثورة التحليل النفسي في عشرينات القرن العشرين، التي أعادت وضع الرغبة الجنسية في بؤرة اهتمام الثقافة والفن والأدب والحياة الاجتماعية عمومًا.

في واقع الأمر تعددت العوامل التي أدت لظهور الثورة الجنسية في ذلك الوقت، ويعتقد الكثيرون أنه لا يوجد سبب واحد مسئول عن هذه الظاهرة».

علىٰ أي حال تزايدت الثورة الجنسية خلال الستينات والسبعينات، وتُعد سنة **١٩٧٣**م علامة من علامات الطريق؛ حيث إنه في هذه السنة تم اتخاذ قرارين أسهما كثيرًا في تعزيز الثورة

الجنسية، وهما قرار المحكمة العليا الأمريكية بإباحة الإجهاض، وقرار الجمعية الأمريكية للطب النفسي برفع «الجنسية المثلية» من الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض النفسية (النسخة الثالثة).

«بحلول سنة **١٩٧٣** كانت جمعيات الضغط السياسي الخاصة بـ «المثليين» من الرجال والنساء في الولايات المتحدة وصل عددها إلىٰ نحو **٨٠٠** جمعية؛ وظل العدد يتزايد حتىٰ وصل سنة **١٩٩٠**م لعدة آلاف. منذ ذلك الحين في المدن الغربية الكبرىٰ.

بدأت المسيرات بمسيرة **٥٠٠٠** «مثلي» و«مثلية» في نيويورك سنة **١٩٧٠**م للاحتفال بالذكرىٰ السنوية الأولىٰ لمظاهرات **١٩٦٩**م وتزايد تعداد المشاركين في مثل هذه المسيرات تدريجيًّا حتىٰ أنه في سنة **١٩٨٧** سار حوالي **٦٠٠** ألف «مثلي» في مظاهرة في مدينة واشنطون للمطالبة بالمساواة؛ وهكذا تشكلت حركة تحرير المثليين كحركة سياسية للمطالبة بالحقوق المدنية كرد فعل للاضطهاد الذي كان المثليون يتعرضون له.

ومثل أي حركة سياسية تنشأ كردِّ فعلٍ للاضطهاد، فإنها تبالغ في مطالبها فلم تكتفِ الحركة بالمطالبة بالمساواة في الحقوق والواجبات بين المثليين والغيريين بل طالبت بأن يَقبل المجتمع أسلوب الحياة المثلي ويقر به.

أي أن الحركة تحولت من حركة للدفاع عن حقوق (المثليين) إلىٰ حركة دعائية لأسلوب الحياة المثلي تهدف إلىٰ اعتبار الفرق بين المثليين والغيريين مثل الفرق بين السود والبيض مثلًا أو الفرق بين الرجال والنساء أو حتىٰ الفرق بين من يستخدمون اليد اليمنىٰ ومن يستخدمون اليد اليسرىٰ!».

ويوضح الدكتور أوسم محاولات الضغط التي مارستها جمعيات الشواذ في الغرب لترويج أفاعيلهم قائلًا:

«مثل كل حركة سياسية نشأت كرد فعل للاضطهاد وانضم إليها عدد كبير من الناس يمثلون شرائح المجتمع المختلفة، بدأت حركة حقوق المثليين في إنشاء اللوبي الخاص بها. تمامًا مثلما نشأ اللوبي الصهيوني كردٍّ فعل لاضطهاد اليهود عبر القرون وخاصة اضطهاد دول المحور لهم أثناء الحرب العالمية الثانية (والجدير بالذكر أن الحركة النازية اضطهدت «المثليين» أيضًا اضطهادًا شديدًا)؛ وكما فعل اللوبي الصهيوني، راح اللوبي «المثلي» يحاول السيطرة علىٰ أشد المراكز تأثيرًا في المجتمع مثل العلم والإعلام والتعليم».

○ **البواعث:**

١- تأثير المجتمع:

ترجع المشكلة في الغرب لاختراق المدارس وخاصة الحكومية بواسطة جماعات «الضغط المثلي» التي تروِّج أن الشذوذ خيار طبيعي للحياة أو أن للأسرة أشكالًا مختلفة مثل أب وأم أو أب وأب أو أم وأم وأن كل هذه الأشكال مقبولة.

وبالطبع ليس هذا هو الحال عندنا في الشرق، ولكن المشكلة في الشرق تكمن في جدار الصمت والتجاهل حول كل ما يتعلق بالجنس، وبالتالي غياب التربية الجنسية الصحيحة للأطفال.

٢- تأثير الأسرة:

وقد تحدَّث عنه «جوزيف نيكولوسىٰ» في كتابه «الوقاية من الجنسية المثلية» حيث قال: الأمر في رأيي وفي رأي عدد متزايد من الباحثين أن الأب يلعب دورًا رئيسًا في تنمية صفات الذكورة لدىٰ ابنه.

والأب أهم من الأم في هذا الأمر فالأمهات تصنعن أولادًا أما الآباء فيصنعون رجالًا، في سن مبكرة جدًّا (من سنة ونصف إلىٰ ثلاث سنوات) يقرر الولد داخليًّا أن يكون كيانًا منفصلًا ويختار إن كان يريد أن يكون مثل أمه أو مثل أبيه.

وكما تدفع الولد الجينات والهرمونات لأن يكون ذكرًا «جسديًّا»، تدفعه علاقة التوحد بالأب لأن يكون ذكرًا «نفسيًّا»، وعندما يتعلق الأمر بالميل الجنسي سواء لنفس الجنس لذلك فإن دور الأب هو أن يؤكد علىٰ ذكورة ابنه ويساعده أن يقبلها من خلال قبوله للذكورة في أبيه والعلاقة الجيدة معه؛ يحدث هذا من خلال أن يلعب الأب مع ابنه ألعابًا ذكورية عنيفة مختلفة عما تلعبه النساء، كثير من الآباء المحبين لأولادهم فشلوا دون أن يقصدوا في عمل هذه العلاقة أو ذلك الارتباط مع أولادهم ربما بسبب الاختلاف في الشخصيات، أو ربما لانشغال الآباء بالعمل، أو ربما لضعف الذكورة لدىٰ الأبناء مما جعل تنمية الذكورة فيهم يحتاج لوقت طويل ومجهود شاق لم يستطع الآباء بذله. الأم تلعب أيضًا دورًا مهمًّا ودورها يتلخص في أن تتراجع قليلًا وتسمح للولد بأن «يذهب» مع أبيه إلىٰ عالم الرجال. ربما تكون الأم في مرات كثيرة مسيطرة أو راغبة في تملُّك الولد وجعله «ابنها الصغير المدلل» وعندما يجتمع هذا مع سلبية أو انشغال الأب أو عدم التوافق في الشخصية بين الأب والأم يفشل الولد في صُنع هذه الرابطة مع أبيه وبالتالي يفشل في تأكيد ذكورته.

أيضًا تميل بعض الأمهات إلىٰ تأديب أبنائهن أكثر من اللازم بحيث تجعل من كل شيء ممنوعًا؛ لا ترفع صوتك! لا تلعب لعبًا عنيفًا! لا تعترض! كن مُطيعًا! فالذكورة متعلقة بالشجاعة والإقدام التي ربما يقتلها هذا التأديب المفرط.

وفي بعض الأحيان تمنع الأمهات أولادهن من الاختلاط بآبائهم خاصة إذا كانت علاقة الأم سيئة بالأب، ربما يحدث هذا في صورة «لا تشغل بابا» «بابا مُتعب!» «إذا أردت شيئًا اطلبه مني أنا» وبطبيعة الحال بالنسبة لكل الأطفال، الأم أسهل، فالأم هي نبع الحنان وأصل القبول غير المشروط بالنسبة للأبناء والبنات»[١].

٣- الكبت الجنسي:

والكبت الجنسي هنا لا نقصد به هنا الممارسة أو عدم الممارسة، فمن الممكن أن نمارس الجنس بشراهة ونحن مكبوتون جنسيًّا وأن نمتنع عن الممارسة ونحن غير مكبوتين! الكبت هو ببساطة عدم احترام الجنس والنظر إليه علىٰ أنه شرٌّ وشيء قبيح.

---

(١) «كتاب شفاء الحب» للدكتور أوسم وصفي.

إن وضع القيود علىٰ ممارسة الجنس أمر ضروري ولازم لاستمرار الكون، ولكن إذا تم كتمان الأمر وعدم شرحه بطريقة صحيحة، مما يجعل عند الشخص علامات استفهام كثيرة، ورغبات في صورة بركانية لا يستطيع التحكم فيها، ومن الممكن أن يقع في انحراف جنسي.

٤- الإساءة الجنسية:

الإيذاء النفسي هو نوع من الأذىٰ للنفس يحدث كنتيجة لخبرة صادمة نفسيًا، والخبرة الصادمة هي الخبرة التي تغمر الإنسان وتتضمن أفكارًا ومشاعرَ شديدة تفوق قدرته علىٰ الاستيعاب.

«ففي إحدىٰ الدراسات التي أُجريت علىٰ عينة من ١٠٠١ شخص شاذ بالغ ومن المترددين علىٰ عيادات الأمراض المنقولة جنسيًّا، ثبت أن حوالي ٣٧ % من العينة تعرضوا للاعتداء الجنسي من ذكور قبل بلوغهم سن التاسعة عشر»[١].

وعلىٰ المستوىٰ الشخصي قد قابلت شابًا شاذًّا كان سبب شذوذه أنه قد تعرض للاغتصاب في المرحلة الإعدادية من شخصٍ أكبر منه، فانحرف سلوكه وصار شاذًّا.

---

(١) المصدر السابق.

○ الآفات:

١- انتكاس الفطرة:

قال تعالىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

من الواضح في خطاب سيدنا لوط عليه السلام لقومه أنهم جاءوا بشيءٍ لم يأتِ به أحدٌ من الأقوام السابقة من هذه الفاحشة الشاذة، مما يدل علىٰ أنه شيء مخالف للطبيعة البشرية ولو كان فطريًّا لَفَعَلَهُ من قبلهم، وزِدْ علىٰ هذا أنهم كانوا يرتكبون هذه الفاحشة في أنديتهم وأماكن اجتماعهم.

حتىٰ بلغ بهم الأمر أنهم لا يحبون الطهارة؛ بل يحاربونها، ولا يطيقون العيش بجوارها، ويتضح ذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

فهم يريدون طرد لوط وآله؛ لأنهم أطهار لا يقربون الفواحش، وهذا في غاية الغرابة، فقد حقَّ عليه قول النبي ﷺ: «**حتىٰ تصبح القلوب علىٰ قلبين قلب أبيض مثل جبل الصفا**

لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض وقلب أسود مرباد كالكوز مجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا»[1].

ففعل هذا الأمر يصيب المرء بانتكاس لفطرته؛ فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، بل من الممكن أن يصل إلىٰ رؤية المعروف منكرًا والمنكر هو المعروف!

وقد تعجَّب العقلاء من هذه الفاحشة حتىٰ قال عبد الملك بن مروان: لولا أن الله قصَّ علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا.

٢- الأمراض الجنسية:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتىٰ يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع والأسقام التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا . . .**»[2].

وقد ورد الكلام حول الأمراض التي يُصاب بها فاعل هذه الفاحشة في كتاب «الإسلام والطب» للدكتور محمد وصفي:

---

(١) رواه البزار (٢٨٤٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبزار (٦١٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١).

التأثير علىٰ الأعصاب:

ما تُسببه هذه الفاحشة من إضعاف القوىٰ النفسية الطبيعية في الشخص، وما تُحْدثه من جعله عُرضة للإصابة بأمراض عصبية شاذة وعلل نفسية شائنة تفقده لذة الحياة وتسلبه صفة الإنسانية والرجولة فتظهر عليه آفات عصبية تبديها هذه الفاحشة.

التأثير علىٰ المخ:

إن عمل قوم لوط يسبب اختلالًا كبيرًا في توازن عقل الإنسان وبلاهةً واضحةً في عقله، وذلك يرجع إلىٰ قلة الإفرازات الداخلية التي تفرزها الغدد الدرقية والغدد فوق الكلىٰ فيضطرب عملها وتختل وظائفها.

التأثير علىٰ الأعضاء التناسلية:

يؤدىٰ إلىٰ ارتخاء العضو الذكرىٰ وهتك أنسجته وضعف فتحة الشرج من أمراض البواسير وغيرها، وكذلك يضعف مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم.

نقص المناعة المكتسب «الإيدز»:

الإيدز الأكثر إصابةً والأخطر ضررًا، ويُسمىٰ بالعربية (نقص المناعة المكتسب)، ذكر العلماء إن أكثر من **٩٥%** من المصابين

بمرض الإيدز هم ممن يمارسون اللواط ونسبة قليلة هم من متعاطي المخدرات.

إن الأمراض التي تنتقل عن طريق ممارسة الجنس هي من بين أكثر الأمراض التي تنتقل بالعدوىٰ شيوعًا، ولا تقتصر هذه الأمراض علىٰ أنها تسبب تقرحات ومفرزات نتنة الرائحة، بل يمكن أن تؤدي إلىٰ مضاعفات خطيرة مثل الفشل الكبدي والسرطانات والمشاكل العصبية والموت!

٣- الرغبة عن المرأة:

ولو قدَّر الله لمن يرتكب هذا الفعل الزواج ستكون امرأته ضحية من الضحايا، لا تفوز بما نالته من تزوجت رجلًا مستقيمًا، فتكون كالمعلَّقة.

فهذا المرض يصرف الرجل عن المرأة، وقد يبلغ به الحد إلىٰ العجز عن مباشرة المرأة، وبذلك تتعطل وظيفة الزواج وهي إيجاد النسل.

٤- الانفصال عن المجتمع:

ولعل الدردشة علىٰ الإنترنت والمدونات أصبحت أيضًا من أماكن التجمع واللقاء للشواذ في بلادنا، خاصة أنها توفر السرية

ومجهولية الأسماء، لكن السؤال كم من الحق وكم من التضليل يُتداول في مثل هذه الأوساط؟!

(تكمن خطورة المجتمع «المثلي»، ليس فقط في أنه يشجع أسلوب الحياة «المثلي» ويجعل منه هوية ثم قضية، ولكن هذا المجتمع يزيد من شقة التباعد بين الشواذ والمجتمع العام، وبخاصة من ليست لديهم أعمال تجعلهم مرتبطين بالمجتمع؛ حتىٰ من يعملون في المجتمع، يشعرون وكأنهم مغتربون في أعمالهم أثناء النهار حتىٰ يعودوا إلىٰ «وطنهم» آخر الليل في أماكن تجمع «المثليين».

هذا الابتعاد يزيد من أعراض عدم النضوج النفسي والعلاقاتي لديهم بالإضافة للمزيد من الإحساس بالوحدة والانعزال والجوع للحب[1]).

وقبيل الدخول في العلاج للانحرافات الجنسية بأكملها سنعرض علاجًا خاصًّا بمشكلة الشذوذ الجنسي:

قال النبي ﷺ: «**ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواءً**»[2] ولو لم يكن هناك طريق للعلاج لما أرسل الله لوطًا عليه السلام إلىٰ قومه

---

(١) «كتاب شفاء الحب» للدكتور أوسم وصفي.

(٢) رواه الطبراني (٢٥٣٤).

لينذرهم ويحذرهم مما هم عليه، صحيح أنك قد تقول أن هناك أمورًا تسببت في هذا المرض لا دخل لك فيها ولكن اعلم أنه من يُقْدِم علىٰ الخطيئة في كل مرة هو أنت كذلك فإن جهادك ابتغاءَ مرضاة الله يهديك بإذن الله سبيل الشفاء قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولنستعرض سبل العلاج الخاصة بهذا الأمر عسىٰ الله أن يوفقك إلىٰ الشفاء.

القرار الصارم:

إن من أبجديات العلاج لهذا الأمر هو اتخاذ القرار الصارم للخروج إلىٰ الحياة المطمئنة الهادئة المستقرة دون تسويف أو استسلام وهذا يؤول بي إلىٰ أن أهمس في أذنيك قائلًا: «اجلس مع نفسك مرة واستعرض حجم الآلام التي سببها لك هذا المرض واسأل نفسك إلىٰ متىٰ سأظل هكذا؟ إلىٰ متىٰ سأظل بعيدًا عن الناس أخاف منهم، أعيش في الظلام وحدي، لا أجد من أشكو له، لا أجد من أصاحبه ويصاحبني، كل من يتعرف عليَّ وأتعرف عليه يكون لمصلحة جنسية بمجرد أن تنقضي لا أراه ثانيةً إلا عند تكرار المصلحة؟!

لا بدَّ أن أكون إنسانًا آخر يألفه الناس ويألفهم، أحيا حياتي في النور قريبًا من الله، لا تأسرني شهوة، ولا تكبِّلني معصية، أحطم كل آمال الشيطان وأمانيه علىٰ صخرة العزم الصارخ، سأخرج من الظلمات إلىٰ النور، مُستعينًا بالله ولن أعجز»، واجعل هذه الآية في صدرك دائمًا ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡا۟﴾ [الزمر: ٦١].

الشحنة الإيمانية:

هناك محاور أربعة ينبغي ألا تبرح عن تفكيرك؛ هذه المحاور هي الصباح، والليل، وما بينهما، والدعاء، فتستطيع بإذن الله في الليل أن تقف بين يدي ربك تصلي وتدعوه أن يُعينك علىٰ الخلاص من ذنبك وتناجيه في الثلث الأخير من الليل وهو ينادي سبحانه هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من مُستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ وتحاسب نفسك كذلك في الليل قبل أن تنام عن أفعالك فإن وجدت طاعة فاحمد الله واشكره، وإن وجدت غير ذلك فأعد لهذا جوابًا يوم تقف بين يدي الله ويسألك لِمَ عصيتني؟ أكنت عليك هينا؟ أما في الصباح تبدؤه بالصيام فإنه حصن حصين تعجز الشهوات عن تخطيه. وكذلك لا يغادر لسانك ذكر الله في كل حال في الصلوات والمواصلات وما بين الصباح والليل، واستمع إلىٰ موعظة ترقق القلوب تذكرك بحالك مع الله وتحذرك من

المعاصي والغفلات وتنبهك بلقاء الله والجنة والنار فتكون بذلك قد أحطت نفسك بسياجٍ ليس للشيطان عليه سبيل ولا سلطان.

الذئب والقاصية:

من المعلوم لدينا أن الذئب دومًا لا يقترب إلا من الشاردة القاصية البعيدة عن القطيع أما من تحفظ نفسها في مجموعة فإنها تكون أبعد عن الافتراس والله يقول: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦] فلا تجعل من نفسك فريسة للشيطان، ولكن احرص علىٰ الاندماج في مجموعة من الصالحين تشغل وقتك معهم فيما يفيد؛ يذكرونك بالله ويعطونك قدرك ويرحبون بك في هذه الحياة الجميلة الجديدة، ويذكرونك بالله ويقومون سلوكك وتصرفاتك، ويشجعونك إذا أصابك الفتور ويحذرونك إذا حدثتك نفسك بالمعصية، وبهذا تحيا حياة تُنسيك ما كنت عليه بل تسمو بك إلىٰ سماء الفضيلة والاعتدال.



علاج الانحرافات الجنسية

عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا قال: «**ما أنزل الله من داءٍ إلا وأنزل له شفاءً**»[1].

فمهما بلغ المرض منك مبلغه ومهما تمكَّنت الشهوة منك وطغت عليك اعلم أن العلاج ممكن ومتاح، وثِق بالله واستعن به ولا تعجز فالله سبحانه هو الذي يشفي من جميع الأسقام فهو القائل سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

فإذا استعنت بالله ودعوته لينجيك من شيطانك فاعلم أن الإرادة القوية منك تلعب دورًا هامًّا علىٰ طريق النجاة، وإذا زلَّت قدمك مرة أخرىٰ أثناء العلاج في أول الطريق أو في منتصفه أو حتىٰ في آخره فلا تيأس وتسمع للشيطان، بل أكمل ما بدأت

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، والبخاري (٥٦٧٨).

وكن علىٰ يقين وثقة في قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

١- باب القلب:

خلق الله القلب وجعله جوهر الإنسان بل وجعله قائدًا للجوارح والأركان، ودلنا علىٰ كل المسالك التي يسلكها الشيطان لغواية هذا القلب، وكل الأبواب التي يحاول الدخول منها إليه ليفسده؛ ومن هذه الأبواب البصر الذي يحاول الشيطان أن يسيطر عليه ليسهل له بذلك الدخول إلىٰ القلب والتمكن منه؛ لذا فالأمر يحتاج إلىٰ صبر ومجاهدة أمام هذا العدو الذي يريد أن ينال منك؛ لذا فقد أوصانا الله بحفظ هذا الباب المؤدي إلىٰ القلب، فقال سبحانه: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ [النور: ٣٠] فانظر إلىٰ نتاج حفظ البصر عن محارم الله هو الطهر والزكاة، وعن معاوية ابن حيدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترىٰ أعينهم النار عين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله**»(١).

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في «معجمه» (٢١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٣) بلفظ: «**غضت عن محارم الله**».

وضمن رسول الله ﷺ الجنة لمن يغضون أبصارهم عن محارم الله كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم**»[1].

فمن يضيِّع هذه الفرص العظيمة بمتعٍ زائلةٍ يعقبها ندمٌ وحسرات؟ أتضيع النعيم المقيم الذي أعده الله لعباده الصالحين من أجل أن ترضي شهواتك دقائق معدودة؟

قال سفيان: «كان الربيع بن خثيم رحمه الله يغض بصره فمرَّ علىٰ نسوة فأطرق بصره حتىٰ ظن النسوة أنه أعمىٰ فتعوذن بالله من العمىٰ»[2].

وقد ذكر الإمام ابن القيم في «الداء والدواء» منافع عديدة لغض البصر فقال: وفي غض البصر عدة منافع:

أحدها: أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تعالىٰ.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٧)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦).

(٢) «ذم الهوىٰ» لابن الجوزي (ص٩١).

الثانية: أنه يمنع وصول السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلىٰ قلبه.

الثالثة: أنه يورث القلب أنسًا بالله فإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله.

الرابعة: أنه يقوي القلب ويفرحه.

الخامسة: أنه يكسب القلب نورًا، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية.

السادسة: أنه يورث القلب فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل والصادق والكاذب والله سبحانه يجري علىٰ عبده بما هو من جنس عمله، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

السابعة: أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعةً وقوةً.

الثامنة: أنه يسد علىٰ الشيطان مدخله إلىٰ القلب فإنه يدخل مع النظرة، وينفذ معها إلىٰ القلب أسرع من نفاذ الهواء في المكان الخالي.

التاسعة: أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها(١).

(١) «الداء والدواء» لابن القيم (ص١٧٨).

فتحكم أخي في بصرك فهو مربط الفرس فإذا انفلت من زمامه وانطلق هنا وهناك هاجت فيك الغرائز والشهوات، ومن أحسَنَ، أحسنَ الله إليه، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وتذكر أن الله لم يهبك عينيك لتعصيه بهما.

٢- التحكم في الخواطر:

إذا رجعنا إلىٰ أصل كل انحراف سنجد أن الانسياق وراء الشهوة بدأ بخاطرة ثم تطور الأمر إلىٰ فكرة ثم تطورت إلىٰ إرادة فعزيمة ثم إقدام فاقتراف للذنب!

خارطة طريق الهلاك

خاطرة .. فكرة .. إرادة .. عزيمة .. إقدام .. فعل .. عادة. (يستحسن عمل خارطة على شكل دائرة وأسهم)

وقد قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الخطرات فشأنها صعب فإنها مبدأ الخير والشر ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم)[1].

فالحذر كل الحذر من الاسترسال مع الخواطر المهلكة، بل إذا ألقىٰ الشيطان لك خاطرة فاستعذ بالله منه والجأ إلىٰ الله واشغل فكرك وعقلك بما ينفعك.

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٤).

ويعطينا ابن القيم دليلًا لحراسة الخواطر وحفظها، والحذر من إهمالها والاسترسال معها، فيقول: «فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء، لأنها هي بذر الشيطان، والنفس في أَرض القلب، فإذا تمكَّن بذرها تعاهدها الشيطان بسقيه مرة بعد أخرىٰ حتىٰ تصير إرادات، ثم يسقيها حتىٰ تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتىٰ تثمر الأَعمال، ولا ريب أن دفع الخواطر أَيسر من دفع الإِرادات والعزائم، فيجد العبد نفسه عاجزًا أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهي خاطر ضعيف، كمن تهاون بشرارة من نار وقعت في حطب يابس، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها، فإن قلت: فما الطريق إلىٰ حفظ الخواطر؟ قلت: أسباب عدة:

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب تعالىٰ ونظره إلىٰ قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرىٰ مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلقه لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.

السادس: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر يستعر شرارها فتأْكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.

السابع: أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحَب الذي يُلقىٰ للطائر ليُصاد به، فاعلم أن كل خاطر منها فهو حبة في فخ منصوب لصيدك وأنت لا تشعر.

الثامن: أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة أصلًا، بل هي ضدها من كل وجه، وما اجتمعا في قلب إلا وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه. فما الظن بقلب غلبت خواطر النفس والشيطان فيه خواطر الإيمان والمعرفة والمحبة فأَخرجتها واستوطنت مكانها، لكن لو كان للقلب حياة لشعر بألم ذلك وأحس بمصابه.

التاسع: أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلًا، فقلب تملكه الخواطر بعيد من الفلاح معذب مشغول بما لا يفيد.

العاشر: أن تلك الخواطر هي وادي الحمقىٰ وأَماني الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة.

٣- **تجفيف المنابع:**

المعصية لن تنقطع إلا إذا جففت منابعها وقطعت كل السبل من أصدقاء سوء ومواقع إباحية وأفلام وما شابه، وكلٌّ أدرىٰ بسبله.

واعلم تمام العلم أنك إن تركت منبعًا لم تجففه بعد فسوف تستقي منه مرة أخرىٰ ولو بعد حين، لذلك أمرنا النبي ﷺ بتجفيف أي منبع للمعاصي مثل منبع الزنا وتجفيفه باجتناب الخلوة فقال: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[(١)]، ومنبع الفجور وتجفيفه باجتناب الكذب فقال: «**وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور**»[(٢)]، وكثير من المنابع التي حث النبي ﷺ علىٰ تجفيفها حتىٰ ينجو الإنسان من الهلاك.

والتجفيف يحتاج إلىٰ العزيمة الصادقة التي تتحقق بأمرين، أولهما النظر إلىٰ الربح المتحقق حال الجد والاجتهاد وهو نيل مرضاة الله والفوز بنعيمه المقيم، وكذلك الحذر من الخسارة المتحققة حال الكسل والتراخي من سخط الله وعذابه الأليم،

---

(١) رواه أحمد (١١٤)، والترمذي (٢١٦٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

والنبي ﷺ يقول: «**اصدق الله يصدقك**»[1].

٤- إنها غريزة:

الشهوة ليست شبحًا مخيفًا، وإنما هي طاقة بداخلك وغريزة فطرية، لكن الأمر يحتاج إلىٰ معرفة كيفية التعامل مع هذه الغريزة، وإليك بعضًا من هذه الوسائل لتتحكم في هذه الشهوة[2]:

١- ممارسة أي نشاط يبذل فيه مجهود كوسيلة لتفريغ الشهوة.

٢- عدم السماع للمحيطين بك من أصدقاء ورفقاء بالحديث عن علاقاتهم الخاصة مع الفتيات وما شابه ذلك، ولتطلب منهم الكف عن ذلك وإلا فلتجتنب الحديث معهم ومرافقتهم.

٣- عدم النوم وحيدًا أو في معزل عن الآخرين ففي ذلك باب مفتوح للخواطر.

٤- النوم علىٰ وضوء وطهارة.

٥- قراءة أذكار النوم مثل آية الكرسي والمعوذتين ثلاث مرات، والنوم علىٰ الشق الأيمن.

---

(١) رواه النسائي (١٩٥٣).

(٢) «علىٰ خطىٰ يوسف الصديق» لمحمد عبد الرازق.

٦- عدم ملء البطن بالطعام، لأن هذا الأمر يحرك الشهوة ويزيدها.

٧- لا تنم إلا وأنت تشعر يقينًا أنك بمجرد ملامسة السرير ستنام وعند الاستيقاظ تجنب التكاسل علىٰ الفراش حتىٰ لا تتحرك الشهوة بعد النوم والراحة.

٨- عدم النوم شبه عار وعدم احتضان بعض الأشياء كالوسادة أو غير ذلك.

٩- تذكر دعاء الدخول إلىٰ الخلاء -مكان قضاء الحاجة- فإنه وقاية لك من الشيطان.

١٠- الحرص علىٰ الاستحمام بأسرع وقت ممكن والخروج سريعًا.

٥- الـزواج:

كثير من الشباب الذي يعاني من الانحرافات الجنسية يعترف بأن الزواج هو قضاء لمشكلته، ولا شك أن ذلك يحمل قدرًا كبيرًا من حل المشكلة لذلك جاء النصح من النبي ﷺ إلىٰ معشر الشباب في حديث عبد الرحمن بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر**

وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

فأرشدنا النبي ﷺ إلىٰ الزواج بالنسبة للمستطيع القادر، أما من لم يستطع فأرشده إلىٰ الصوم فإنه له حصن من الفتنة وسوف يأتي تفصيل العلاج من خلال الصوم إن شاء الله تعالىٰ.

وإلىٰ من يشتكي من صعوبة المعيشة وزيادة تكاليف الزواج فقد بشره النبي ﷺ، قد قال: «**ثلاثةٌ حق علىٰ الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح يريد العفاف»**[2].

٦- الصيام:

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[3].

يوضح لنا النبي أن الصوم يدفع الشهوة كما يقطعها الوجاء -أي: الاختصاء- لأن الصائم أثناء صومه يضيق مجرىٰ دمه

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) رواه ابن المبارك في «مسنده» (٢٢٥)، والترمذي (١٦٥٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٩٩٥).

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

وتنكسر شهوته بذلك، كما أن في ذلك تقليلًا لوساوس الشيطان بما أنه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم من العروق.

والصوم الذي نوصي به هو الصوم المتواصل، وحتىٰ أكون معك أكثر واقعية فأوصيك بالتدرج في الصوم فابدأ بصيام يوم الاثنين فعن أبي قتادة الأنصاري: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**»[1]، ثم صيام الاثنين والخميس، وقد قال النبي ﷺ: «**تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم**»[2]، ثم صيام داود عليه السلام أي صيام يوم وإفطار يوم كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**فصم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام قلت إني أطيق أفضل منه يا رسول الله. قال لا أفضل من ذلك**»[3] متفق عليه.

ثم صيام الثلاثة أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر هجري. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحىٰ، وأن أوتر

---

(١) رواه أحمد (٢٢٥٣٧)، ومسلم (١١٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢١٧٥٣)، والترمذي (٧٤٧)، والنسائي (٢٣٥٧).

(٣) رواه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩).

قبل أن أنام»[1] متفق عليه، ثم تقوم بسرد الصوم شهرًا ثم تسرده شهرين فعن أسامة بن زيد: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ فَيُقَالُ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ فَيُقَالُ لَا يَصُومُ»[2]، وبذلك تزكو نفسك وتطهر وتقبل علىٰ طاعة الله وتنكسر شهوتها، والنبي ﷺ يقول في الحديث القدسي عن رب العزة: «.. **ولا يزال عبدي يتقرب إلىٰ بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**»[3].

٧- الوقود الإيماني:

إن السائر في الطريق إلىٰ الله يحتاج إلىٰ وقود كما تحتاج السيارة، ولكن وقود السائر إلىٰ الله يختلف عن أي وقود، فهو ذو تركيبة خاصة تركيبة روحانية من محافظة علىٰ الصلوات الخمس وبر الوالدين والنوافل، وقراءة القرءان والصيام والأذكار، والقيام وزيارة المقابر وزيارة المرضىٰ وحضور الجنائز، والسماع إلىٰ المواعظ والتوبة، والمشي مع أخيك في حاجته، وصلة الأرحام

---

(١) رواه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).
(٢) رواه البخاري (١١٤١)، ومسلم (١١٥٦)، وهذا لفظ النسائي (٢٣٥٩).
(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢).

والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والعفو والصدقة والعطف على المساكين والفقراء.

وكلما زاد وقودك كلما حققت قول الله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، وكلما ازدادت سرعتك لم يستطع الشيطان اللحاق بك فإن كيده ضعيف، وقد قال الله له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ [الإسراء: ٦٥].

٨- الدعاء:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وفي حديث سلمان الفارسي ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إن ربكم تبارك وتعالىٰ حييٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**»(١).

الدعاء سلاح لا يهزم حامله، ومَنْ أكثرَ الطَّرْقَ يوشك أن يُفتح له، لذا فارفع يدك دائمًا واسأل الله وارجه أن يجعلك من عباده المتقين، وأن يعصمك من الشيطان، وأن يحبب إليك طاعته

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦).

وأن يكره إليك معصيته، وأن يرضىٰ عنك ويهديك ويتوب عليك، ويخلصك من قيود الذل والعصيان.

لذا كان يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكني أحمل همَّ الدعاء»[1].

فلا تتساهل أخي الحبيب بأمر الدعاء فإنه طريق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، ومن دعا الله بكل ما يرضيه وفَّقه الله إلىٰ كل ما يحبه ويرضاه.

لاَ تَطْلُبَنَّ بُنَّيَّ آَدَمَ حَاجَةً
وَسَلِ الذِي أَبْوَابُهُ لاَ تُغْلَقُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ
وَبُنَيَّ آَدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ



(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ١٠٣).

إشارة علىٰ الطريق

المشكلة في إدمان الجنس، أو أي إدمان، هو أنه يحدث تغييرًا في المخ، وبالتحديد في مراكز اللذة، حيث إن السلوك المتكرر، خاصة إذا كان مرتبطًا باللذة، ينشئ مسارات عصبية في المخ، تكون بمثابة مجرىٰ نهر تتحرك فيه المواد الكيميائية بشكل تلقائي متحكمة في السلوك. لذلك عندما يحاول الإنسان أن يتوقف عن السلوك الإدماني، فإنه يكون كمن يجفف نهرًا قد دام جريانه لسنوات عديدة، وذلك لينشئ نهرًا جديدًا أو مسارًا جديدًا في المخ؛ وهذا أمر في غاية الصعوبة ويتطلب وقتًا طويلًا ومحاولات متكررة وانتكاسات كثيرة قبل أن يصل إلىٰ الاستقرار السلوكي.



التدخين والمخدرات

○ **مقدمة:**

التدخين والمخدرات والمسكرات هم خندق هلاك للصحة والقوة والحرث والنسل، وهو إفساد في الأرض والله لا يحب الفساد، فكان من الخطورة بمكان أن يقع الشباب في هذا الخندق صرعىٰ لوساوس الشيطان، وأسرىٰ في سجون النفس الأمارة بالسوء. فهم أمل الأمة وساعدها القوي وبستانها المزهر المثمر الذي تقوم عليه الحضارة والمجد؛ فكان لا بدَّ من أن نتناول هذا الموضوع من جميع جوانبه، نمد يد العون لشبابنا لينجو من هذا الهلاك المستطير.

○ **الحكم:**

التدخين والشيشة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥] . . وقد ثبت من الناحية الطبية ضرر التدخين والشيشة وربما أدىٰ إلىٰ الموت، وشاربه يلقي بنفسه إلىٰ التهلكة.

وقال الله في موضع آخر يحكي عن نبيه ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والتدخين والشيشة من جملة الخبائث الضارة بالإنسان فتكون جميع أنواعهما محرّمة من هذا الباب.

وقد قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(١)]، وتناول هذه الأشياء يوجب الضرر، والنهي يقتضي التحريم.

ويجدر بالذكر هنا أن دار الإفتاء المصرية أصدرت حكمًا شرعيًّا بالحرمة القطعية للتدخين، وذلك في فتواها الصادرة بتاريخ **٢٥** جمادىٰ الأول **١٤٢٠** هجرية الموافق ليوم **٥** سبتمبر للعام **١٩٩٩**م، وقد جاء فيها: (العلم قد قطع في عصرنا الحالي بأضرار استخدامات التبغ علىٰ النفس، لما في التدخين من أضرار تصيب

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وابن ماجه (٢٣٤٠).

المدخن وغيره ممن يخالطونه، ولما فيه من إسراف وتبذير نهىٰ الله عنهما.

والله تعالىٰ يقول: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا» ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾).

وقد أعلن دكتور نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية السابق أن التدخين حرام بكل المقاييس الشرعية.

المخدرات والخمر:

قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، فالمخدرات تشترك مع الخمر في علة التحريم وهي الإسكار.

ومن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس والابتعاد عن كل ما هو ضار بصحة الإنسان، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

أما من السنة فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومُفَتِّر»[١]، والمخدرات بأنواعها مفترة بل مهلكة للعقول والأجساد.

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٣٤)، وأبو داود (٣٦٨٦).

قالت عائشة رضي الله عنها: «إن الله لا يحرم الخمر لاسمها، وإنما حرمها لعاقبتها؛ فكل شراب تكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحريم الخمر»[(١)].

وجاء في المؤتمر الإقليمي السادس للمخدرات المنعقد في الرياض لعام (١٩٧٤م): «أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية علىٰ تحريم إنتاج المخدرات وزراعتها وتعاطيها، طبيعية كانت أو مخلَّقة، وعلىٰ تجريم من يُقْدِم علىٰ هذا».

○ البواعث:

١- البيت الضعيف:

مثل المؤمن بربه كمثل البيت له أركان ودعائم وأساسات، فكلما كانت أركان البيت قوية كلما كان البيت قويًّا يستطيع أن يتصدىٰ للرياح ويتحمل الزلازل، وكلما كانت دعائم البيت ضعيفة كلما تأثر البيت وتصدع أمام الرياح والزلازل حتىٰ ينهدم.

فكذلك المؤمن إذا كان قوي الإيمان بطاعة الله واتباع سنة رسوله ﷺ استطاع أن يقف أمام المخدرات والمسكرات، أما إذا

---

(١) «سنن الدراقطني» (٤٦٦٩).

كان ضعيف الإيمان بعيدًا عن الله مخذولًا فلن يستطيع أن يقف أمام تأثير هذه المعاصي.

فقد قال الله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فيقع الشباب في قيود المخدرات والمسكرات لضعف إيمانهم وضعف تعلقهم بالله سبحانه، لذلك فقد صدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[١].

٢- تجربة الرمال:

أصبح عصرنا هو عصر التجربة في شتىٰ مجالات الحياة حتىٰ في مجال الإدمان، حيث تجد الشاب مصابًا بهوس التجارب، فكل أمر يعرض عليه يقبل علىٰ ممارسته وإن علم أضراره الشرعية والبدنية، فما إن يفعله مرة حتىٰ يحب أن يفعله الثانية والثالثة، إلىٰ أن تتحول التجربة إلىٰ عادة مألوفة يتمتع صاحبها بخبرة عجيبة لو كان تمتع بها في علم من العلوم المفيدة لكان خيرًا له وأقوم.

ومثل صاحبنا كمثل الذي يقف علىٰ حدود أرض قد امتلأت بالرمال المتحركة، فأراد أن يعبرها رغم ما يجد أمامه من الأذىٰ إلا

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

أن حجته المضحكة أنه إن أراد الخروج والنجاة خرج ونجا، فما إن يبدأ صاحبنا بأول خطوة في أرض الرمال يجد قدمه قد انزلقت وثيابه قد اتَّسخت، فلما أراد الخروج وشرع في النجاة لم يستطع إنقاذ نفسه فيخرج، ولا أن يكمل فينتهي ويعبر، فيهلك المسكين في منتصف الطريق.

وعلىٰ المنوال نفسه ضرب لنا المصطفىٰ ﷺ مثالًا رائعًا يوضح لنا أثر التجربة في مثل هذه الأمور فقال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلىٰ جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلىٰ الأبواب ستور مرخاة، وعلىٰ باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي علىٰ رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم**»(١).

فأسألك بالله يا صديقي قبل أن تغوص في رمال الإدمان المتحركة . .

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٣٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٠٢٤).

- أليس من الممكن أن تهلك في وسط الطريق؟!

- لمَ لمْ تتعظ وتعتبر بالذين سبقوك وأهلكتهم هذه الرمال؟!

- ألا تفكر في أن تمشي علىٰ طريق الله المستقيم الثابت بدلًا من أن تجرب الغوص في رمال متحركة؟!

٣- خدعة الرجولة:

«الإذاعة المسموعة والمرئية قد دخلتا كل بيت تقريبًا، وأصبح يراها الصغار قبل الكبار والفتيان والفتيات أشد الناس تأثرًا بها وتقليدًا لها.

وأكثر ما يعرض في الإذاعة المرئية ودور الصور المتحركة -السينما- من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات يحتوي علىٰ تعاطي الممثلين والممثلات للمسكرات.

وهكذا ينصب الشرَك، وتنقل الخبائث للمشاهدين والمشاهدات في عقر دارهم»[(١)].

فالرجولة والبطولة الحقيقية هي أن تتحكم في رغباتك وشهواتك، وليست في دخان تستنشقه وتخرجه ولا في سُكْرٍ فاضح للعقل.

---

(١) «فقه الأشربة وحدها» لعبد الوهاب الطويلة.

«وأغلب المدخنين يجدون أنفسهم مدفوعين للتدخين بعد أن تبدأ العادة لديهم في سن الصغر بالتقليد وحب الظهور، فالمراهق يريد أن يشعر أنه قد صار رجلًا، وإذا ما ابتدأ الفتىٰ بالتدخين فإن استمراره فيه يخرج عن يده بعد ذلك، ويصبح الدافع هو الإدمان»[1].

٤- الصاحب ساحب:

لو وجه السؤال لأغلب من وقع في تلك المعاصي من مخدرات أو تدخين، وهو من الذي دلَّك علىٰ ذلك الطريق؟

فالجواب الأغلب والأعم أن من دلَّه هو الصاحب الذي جعله يتردد علىٰ المقاهي والنوادي وأصدقاء السوء، ودله علىٰ سبل هذه المعصية، بل وربما مد له يد (العون) في كيفية تعاطيها، ولا أتعجب حينما يقول لي أحدهم أنه قد ينفق عليه صاحبه من ماله كي يصبح مدمنا!

أتعلم لماذا؟!

لأنه يريدك أن تكون مثله يريدك ضالًّا تائهًا حائرًا مقيدًا بقيود المعاصي التي لا تستطيع الفكاك منها لأنه حينما عجز عن التخلص

(١) المصدر السابق.

من معاصيه وباء بالفشل، دلَّه شيطانه علىٰ أن يسحب صديقًا له ليخفف عنه من آلام وحشته وضيق صدره، فكم من شاب أقنعه صاحبه بأن الأمر يسير وأنه ما زال في بادئ عمره، وأن كثيرًا من الشباب يتعاطون المخدرات! فيقع المسكين في أسر صحبة تودي به إلىٰ الهلاك ثم تتخلىٰ عنه في الدنيا مع أول مشكلة من مشاكل الإدمان، أما في الآخرة: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ولا ينفعك الندم حينها بل تود لو أنك ما عرفته من قبل ولا كنت رفيقه، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ **[الفرقان: ٢٧-٢٩]**.

لذلك حذرنا حبيبنا ﷺ من خطورة هذا الأمر فقال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثةً**» فاختر صاحبك أيها الحبيب فإنه ساحبك إما لخيرٍ وإما لشرٍّ كما قال النبي ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١).

---

(١) رواه أحمد (٨٠٢٨)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣).

(وقد ثبت بالاستقراء أن كثيرًا ممكن يُبتلون بشرب المسكرات أو المخدرات أو التدخين لا يقدمون علىٰ ذلك إلا بإغراء من رفاق السوء ودعاة الضلال.

وكثير منهم لا يحتسي الخمر في أول الأمر إلا كَرهًا، وذلك لبشاعة طعمها ومرارته، ولاعتقاد الكثيرين منهم أنهم يقدِمون علىٰ عمل ضار منكر، ولكنه التأثر بالعادة المتبعة.

كما أن النقطة في البدء في التدخين هي اللفافة الأولىٰ، وهي غالبًا ما تكون في مرحلة من أشد مراحل العمر فقدانًا للسيطرة علىٰ النفس، ألا وهي مرحلة المراهقة).



الآفـات

○ الأضرار الشرعية والمجتمعية:

١- إخوان الشياطين:

إن التدخين والمسكرات والمخدرات من أدوات إحراق المال وإضاعته، لذلك فهو سبيل موصل لمؤاخاة الشياطين قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] وفي هذا الوصف دلالة علىٰ قبح الإنفاق فيما لا ينفع، فالطباع السليمة تنفر من مثل هذه المؤاخاة. وها هو رسولنا الكريم ﷺ ينهانا عن وضع المال في غير موضعه حيث قال: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[١]، فلا يوجد عاقل علىٰ وجه الأرض يدفع مالًا طائلًا من أجل إهلاك محقق.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

وقد حذر النبي ﷺ من صرف المال في أجه الحرام قائلًا: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ، فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبَابِهِ، فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ، مِنْ أَيْنَ اكتَسَبه؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ، مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟**»[1].

٢- إهلاك النفس:

العلم قد قطع في عصرنا الحالي أن التدخين والمخدرات والمسكرات مضرة بالصحة ومسببة للوفاة والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

ولا يتوقف الأمر عند هذا فحسب فلا يلحق الضرر بالمدخن وحده بل يمتد ليصل إلىٰ غيره ممن لا دخل لهم في ذلك. فالمدخن يضر من حوله من أصحابه وأبنائه، وهو ما يعرف بـ «التدخين السلبي» الذي يُعد أشد خطورة من التدخين نفسه. وفي ديننا نهيٌ جازمٌ عن النبي ﷺ حيث قال: «**لا ضرر ولا ضرار**»[2].

ولا يقتصر ضرر المدخن علىٰ نفسه أو علىٰ غيره فقط، بل

---

(١) رواه الدارمي (٥٤٣)، والترمذي (٢٤١٧) وأبو يعلىٰ (٥٢٧١).

(٢) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وابن ماجه (٢٣٤٠).

تتأذىٰ منه الملائكة!! .. نعم الملائكة .. فقد قال ﷺ: «**إن الملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه بنو آدم**»[1].

٣- حرمان المعافاة:

يقول النبي ﷺ: «**كل أمتي مُعافىٰ إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملًا، ثم يصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان! قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**»[2].

في اليوم الذي تحتاج فيه إلىٰ عفو الملك جل جلاله وقد أثقلتْك الذنوب والخطايا فلا تَجِد من يُعينك، ليس لك ملجأٌ من الله إلا إليه سبحانه ولكنك للأسف تُحرم من العفو والمعافاة في هذا اليوم، أتدري لماذا؟!

لأنك جاهرت بالذنب أمام أعين الناس فلا تستحي أن تدخن في الطريق أو الجامعة أو مكان العمل، ولا تستحي أن تتعاطىٰ المخدرات أمام أصحابك أو المسكرات!

---

(١) رواه مسلم (٥٦٤)، والترمذي (١٨٠٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

٤- لا خمر لك!:

ومن حكمة الله جل وعلا أن الجزاء من جنس العمل فقد حرَّم الله الخمر في الجنة علىٰ من شربها في الدنيا، فقد قال النبي الأمين ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»(١)، وذلك لمن لم يَتُبْ منها في الدنيا .

٥- ملعونون!

في الحديث الشريف قال النبي ﷺ: «**أتاني جبريل فقال يا محمد لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومستقيها**»(٢)، لك أن تتخيل لعنة الله علىٰ هؤلاء التسعة وطردهم من رحمته سبحانه، فأنَّىٰ لهذا العبد أن يوفق في دنياه!!.

٦- العداوة والبغضاء:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن

---

(١) رواه أحمد (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٠٠٣) ولفظه: «**فمات وهو يدمنها لم يتب، لم يشربها في الآخرة**».

(٢) رواه أحمد (٢٨٩٧)، وعبد بن حميد (٦٨٦).

يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فانظر كيف شدد الله في أمر الخمر[١]:

١- قرنه بالشرك والميسر والقمار.

٢- وصفه أنه رجس، وهو ما خبث واستقذر.

٣- وعده من عمل الشيطان وهذا مما يقتضي الحزم في اجتنابه.

٤- وأمر باجتنابه أي شدة المجانبة والابتعاد عنه.

٥- وعلق علىٰ ذلك الفلاح.

٦- وجعله سبب العداوة والبغضاء.

٧- وجعله سبب الصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

٨- ثم طالب مرة أخرىٰ بالانتهاء عنه بصيغة الجملة الاسمية الاستفهامية مع التحفيز في البداية خلال خطاب الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

---

(١) «صناعة الشباب» للدكتور سعيد حوىٰ.

٧- جهود مهدرة:

المدمن يصبح هو وأهله عالة علىٰ غيرهم بسبب ضعف قدرة المتعاطين للمسكرات أو المخدرات علىٰ الإنتاج، فقد ذكرت وزارة الصحة الأمريكية في تقريرها السنوي لعام **١٩٧٨**م أنها تتكبد خسائر مالية سنوية كثيرة بسبب المسكرات، كما جاء في التقرير أيضًا: إن تناول المسكرات يؤدي إلىٰ فقد الإنتاج.

وقد قال أحد الأطباء الألمان قديمًا كلمة حكيمة: أغلقوا لي حانات الخمور أضمن لكم إغلاق نصف السجون ونصف المستشفيات.

○ **الأضرار الطبية**(١):

وإن كانت الأضرار السابقة التي ذكرناها كافية للإقناع إن شاء الله إلا أننا سنتطرق لذكر الأضرار الطبية لتوضيح مدىٰ خبث هذه المحرمات..

التدخين:

الفم: يتكون علىٰ سطح مينائه طبقة صفراء ضاربة إلىٰ السواد وقد يصاب اللسان بالسرطان وأضف علىٰ هذا الضرر اللاحق

---

(١) «فقه الأشربة وحدها» لعبد الوهاب الطويلة.

بالشفتين واللثة واللوزتين من الالتهاب.

الجهاز الهضمي: يصاب المريء بالالتهاب مما يؤدي إلىٰ القرحة كذلك الإصابة بقرحة المعدة وضعف الشهية.

الجهاز التنفسي: سرطان الحنجرة مما يؤدي إلىٰ إزالة الحنجرة وعدم القدرة علىٰ الكلام، وسرطان الرئة وإصابته بالذبحة الصدرية ومضاعفات تحدث لمريض الربو بسبب التدخين.

الجهاز الدوري: انقباض الشرايين عمومًا وتصلبها وأخطرها شرايين القلب ثم شرايين المخ، ومن الممكن حدوث جلطة دموية ويؤثر علىٰ ضغط الدم ويرفعه.

الجهاز العصبي: الشكوىٰ من الأرق واضطراب النوم والكآبة وضعف الذاكرة.

الجهاز التناسلي: سرطان المثانة والإصابة بالعجز الجنسي ويحدث ذلك بسبب الاضطرابات التي تحدث في الدورة الدموية.

كما أن احتمال إصابة المدخنين بسرطان الفم والمريء والبلعوم والحنجرة هو عشرة أضعاف احتمال إصابة غير المدخنين، وإذا اجتمع الخمر مع التدخين زاد الاحتمال إلىٰ ثلاثين ضعفًا، وأن الذين يبدؤون في سن مبكرة يكونون أكثر تعرضًا للمخاطر من الذين يبدؤون في سن العشرين مثلًا.

المخدرات

الحشيش:

ليس للحشيش أي فائدة طبية بل هو محض ضرر للإنسان في جسمه وعقله وخلقه وطبعه ودينه، فهو مدمر لحيوية الرجل، لأنه يسيء إلىٰ جميع الأجهزة إساءةً بالغة ولا سيما الجهاز العصبي، فهو يبلد الإحساس للمتعاطي ويصيبه بالفتور.

هذا بالإضافة إلىٰ الأضرار التي تلحق المجاري التنفسية ومن ثم الالتهابات الرئوية المزمنة.

أما أعراض الجهاز الهضمي: فتتلخص في: فقدان الشهية وسوء الهضم وكثرة الغازات.

وبالنسبة للجهاز التناسلي: فهو يسبب الضعف الجنسي وقد يسبب عجزًا كاملًا.

وعامة فهو يقلل مناعة الجسم أي يضعف القدرة علىٰ مقاومة المرض.

ذكر فريد وجدي[1]: أن الحشيش مخدر ومفقد للإحساس ومضر بالمجموع العصبي ضررًا بالغًا، ونتيجته الطبيعية الجنون بأشد حالاته وإحساسات جسمية خاطئة أو وهمية، كشعور بطول الأطراف، ودوار ودوي بالأذن وعدم توازن واضطراب في الجلوس والمشي.

الأفـيـون:

يقلل النشاط بشكل عام، ولا سيما الحركة البدنية، ومدمنو الأفيون علىٰ درجة ملحوظة من الضعف والهزال.

يسبب هبوطًا في الوظائف الحيوية ولا سيما في جهاز التنفس والقلب.

يؤثر بشكل مباشر وضار علىٰ المعدة والأمعاء والطحال والبنكرياس لا سيما مع تعاطي الجرعات الكبيرة، ولذلك تقل الشهية لدىٰ المدمنين ويحدث الإمساك.

يؤثر علىٰ الكبد فيسبب تحلل خلاياه وتليفها، كما يؤدي إلىٰ زيادة نسبة السكر فيه.

---

(١) في دائرة معارفه للقرن العشرين (٣/ ٤٤٧).

يسبب هبوطًا عامًّا في الجهاز العصبي، باستثناء الشم والسمع، ولذلك يسكن الألم.

يؤدي إدمانه إلىٰ العصبية الشديدة والحساسية المفرطة مع التوتر الدائم والانفعال السريع.

الكوكايين:

أما أضراره فإن الكوكايين يُمتص من نسيج الأنف المخاطي، وينشط الجهاز العصبي المركزي، فيشعر المتعاطي بالقلق والإفراط في الحركة، والرعشة في العضلات مع التشنجات، كما أنه يبطئ انقباض عضلة القلب.

يُحدث في الشخص تعودًا سريعًا عليه وقد يصل إلىٰ حد الاعتماد الجسمي عليه، وقد يحدث إدمانه في أسبوع.

الهيروين:

يسبب إدمانه بسرعة كبيرة، فقد يحدث إدمانه في أسبوع.

يثبط الجهاز العصبي المركزي، ويؤثر بشكل مباشر علىٰ المخ وعلىٰ مراكز التنفس فيه ولو كانت الجرعات قليلة.

يؤثر علىٰ الجهاز الدوري فينخفض ضغط الدم، كما أن ازدياد الجرعة تؤدي إلىٰ هبوط القلب وتوقفه.

يؤثر علىٰ الجهاز الهضمي مسببًا حالات من الإمساك الشديد، وجفافًا في الفم وعطشًا شديدًا، كما يقلل من إفرازات العصارات الهضمية بشكل كبير.

يقلل الدافع الجنسي كسائر المخدرات الأفيونية.

البانجو:

(ثبت من الدراسات والأبحاث العلمية أن دخان البانجو يحتوي علىٰ مواد مسرطنة ومسببة للأورام السرطانية أكثر من تلك التي يحتويها دخان السجائر العادية التي تحتوي علىٰ النيكوتين، وبالتالي فإنها يمكن أن تسبب الإصابة بالأورام السرطانية المختلفة إذا استخدمت لعدة سنوات، وقد دلَّت الأبحاث التي أُجريت علىٰ الرئة، أن تدخين البانجو يؤدي إلىٰ تغير شكل خلاياها إلىٰ مرحلة ما قبل السرطان، والتي تتحول إلىٰ خلايا سرطانية مع استمرار التعاطي، وفي دراسة معملية أخرىٰ، تبين أن «التار» أو «الزفت» الموجود في دخان البانجو، قد تسبب في إحداث سرطان الجلد عند الحيوانات، حين تعرضوا له لفترة طويلة.

ولعل الدراسات التي أُجريت علىٰ تأثير البانجو علىٰ أجهزة الجسم المختلفة، قد أظهرت أن تدخين سيجارة من البانجو، يعادل في تأثيره الضار تدخين خمس سجائر عادية، ويتضاعف هذا التأثير بالتأكيد إذا كان المدمن يدخن كلًّا من البانجو والنيكوتين.

وتشمل أضرار البانجو زيادةً في سرعة دقات القلب، واحمرارًا شديدًا في بياض العين، دون اتساع حدقة العين، جفافًا شديدًا في الفم والحلق، زيادة الشهية، والإقبال علىٰ الأكل.

كما تشمل فَقْد القدرة علىٰ التجانس والتناغم بين العقل والجسم، والتأثير علىٰ الإحساس بالوقت فيشعر الإنسان بأن الدقيقة ربما تكون ساعة، وكذلك التأثير علىٰ الذاكرة، خاصة للأحداث القريبة، وكذلك فَقْد القدرة علىٰ التركيز، والقدرة علىٰ مواصلة الأعمال، خاصة تلك التي تحتاج إلىٰ مجهود ذهني أو عقلي، وأيضًا فَقْد القدرة علىٰ قيادة السيارات بالتركيز المطلوب، أو الوقوف أمام الماكينات، وأحيانًا تنتاب المدمن بعض الهلاوس.

كما أن تدخين البانجو يؤدي إلىٰ خلل في القدرة الذهنية، وعلاقتها بالقدرة الحركية PsychomotorTasks، ففي بداية تدخين البانجو يشعر الإنسان بالسعادة والانطلاق والاسترخاء، إلا أنه لا يلبث أن يعقب ذلك مشاعر سلبية عديدة، مثل الإحساس بالخوف الذي يصل إلىٰ حد الهلع في بعض الأحيان، بدون أي سبب واضح، والقلق النفسي، وأحيانًا بعض الهلاوس يمكن أن تنتاب ذلك المدمن.

وإدمان البانجو يفقد الإنسان قدرته علىٰ الطموح والحافز الموجود بداخله، وهذا لا يظهر في بداية تدخين البانجو، ولكن مع إدمانه، يصبح من السمات الواضحة في هذا المدمن، خاصة أنه بعد فترة، يضطر لمضاعفة الكمية التي يتناولها نظرًا لأن جسمه يعتاد عليها وهو ما يسمىٰ (Tolerance)[١].

الخمر:

قال أحد الأطباء الألمان: إن السكير ابن الأربعين يكون نسيج جسمه كنسيج جسم ابن الستين ويكون كالهرم جسمًا وعقلًا!

أضرارها علىٰ:

الجهاز العصبي: وتأثير الغول -أي الخمر- علىٰ خلايا الجهاز العصبي هو تخديري وتثبيطي، فيتقاعس عن أداء وظيفته وتحدث فيه اضطرابات خطيرة.

إذًا فالعقل مجموعة الموانع الأخلاقية لدىٰ الإنسان، والغول يُزيل هذه الموانع ويحوِّل الإنسان إلىٰ معتوهٍ فينطلق دون تحكُّم - أي يكون سكرانًا.

---

(١) دكتور عبد الهادي مصباح أستاذ المناعة، عضو الأكاديمية الأمريكية للمناعة، تقرير في جريدة اليوم السابع.

الجهاز الهضمي: الإصابة بتقرحات الفم كما تتشقق جوانب الفم، الإصابة بالتهاب البلعوم ويصاب المريء بالتهاب من تعاطي المسكرات، وما تقيؤ الخمور عند الصباح إلا نتيجة تجمع المواد المخاطية التي يفرزها المريء الملتهب، أضف إلىٰ ذلك قرحة المعدة مما يؤدي إلىٰ التحول السرطاني.

الكبد: الالتهاب الكبدي، التليف الكبدي وهناك وهم شائع أن بعض الخمور هي التي تسبب التليف الكبدي دون غيرها، والواقع الطبي يثبت أن الخمور كلها تؤدي إلىٰ نتيجة واحدة، ولم يثبت قط أن هناك خمرًا أقل ضررًا من أخرىٰ.

البنكرياس: التهاب البنكرياس.

الجهاز التنفسي: ضعف مرونة الحنجرة ويهيج شعب التنفس وكثيرًا ما يُصاب بالالتهابات الرئوية؛ لأن مواد القيء تدخل إلىٰ الرئتين.

الدم: يزيد نسبة الكولسترول في الدم يؤدي إلىٰ ضيق الأوعية الدموية مما يؤدي إلىٰ تصلب الشرايين.

الجهاز التناسلي: تحدث المسكرات ضمورًا في الخصية، واسترخاءً في عضو التناسل.

○ **العلاج:**

١- لا تتهيب الصعود:

تلعب الإرادة القوية دورًا مهمًّا في السيطرة والتخلص من تلك العادات سواء كانت التدخين أو المخدرات، فدع عنك الأوهام ولا تقل «لقد اعتدتها»، «من المستحيل أن أتركها»، «أخرِّج فيها طاقتي».

فكل هذه أوهام يريد الشيطان أن يقنعك بها ويلبسها عليك، وإني لأراك إذا استعنت بالله وحسمت القرار فسينعم الله عليك كما أنعم سبحانه بذلك علىٰ الصحابة الكرام رضوان الله تعالىٰ عليهم الذين تربوا في مدرسة سيدنا محمد ﷺ، فقد أخرج ابن جرير عن بريدة رضي الله عنه قال: «بينما نحن قعود علىٰ شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلا إذ قمت حتىٰ آتي رسول الله فأسلم عليه إذا نزل تحريم الخمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ﴾ فجئت إلىٰ أصحابي فقرأتها عليهم، قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضًا وبقي بعض في الإناء فقال بالإناء تحت شفتيه العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في بطونهم فقالوا: «انتهينا يا رب»[1].

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٦٦١).

انظر إلىٰ إرادتهم العجيبة وقوة عزيمتهم واستجابتهم لأمر الله وقولهم «انتهينا ربنا»!، آمنوا بقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

كما ستجد ثمرة جهادك وحسمك للقرار في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أجد فيك بإذن الله أنك قادرٌ علىٰ ذلك فقلها بصدق ولا تتهيب صعود الجبال:

وَمَنْ يَتَهَيَّبْ صُعُودَ الجِبَالِ

يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَر

أما بالنسبة لتعاطي المخدرات والمسكرات فالأمر يختلف شيئًا ما(١):

«فللتعاطي حالتان: بسيطة ومعقدة:

فالحالة البسيطة: هي مجرد التعاطي من غير أن يصل الأمر إلىٰ حد الإدمان والتحكم المرضي للخمر أو المخدر.

والغالبية العظمىٰ من متعاطي المسكرات والمخدرات إنما

---

(١) «فقه الأشربة وحدها» لعبد الوهاب الطويلة، بتصرف واختصار.

يتعاطونها ترفًا جنح به الفراغ الذهني، وسفهًا أسرع به طلب المتعة المجردة، وعبثًا شجع عليه رفاق السوء.

وأمر هؤلاء أيسر من غيرهم، فقد ينفع فيهم النصح والتوجيه، إن أحسنَ العرض ووصل إلىٰ دخائل النفس وروح الإنسان القائمة علىٰ الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والأسلوب الإسلامي قد أفلح علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرنًا في جعل هذه الجراثيم تتوارىٰ وتختفي عن الأنظار، أما النادر فشاذ لا قيمة له.

أما المرحلة المعقدة فهي مرحلة الإدمان، ويعالج الأمر علىٰ أساس أنه حالة تستدعي العلاج والرعاية الخاصة؛ لأن الداء قد استحكم في نفوس المدمنين، وتمكن من إرادتهم، فغلبهم عليها، ومن شخصيتهم فسلبها منهم، وأصبح التعاطي عندهم عادة مستحكمة يصعب القضاء عليها بشتىٰ الوسائل، إلا من رحم الله.

فعلىٰ الذي بلغ تلك المرحلة التوجه لمراكز التأهيل المختصة بعلاج الإدمان، كي يلقىٰ الرعاية الطبية والنفسية، ويشمل العلاج برامجَ علاجية يشرف عليها أطباء متخصصون، وبرنامجًا نفسيًّا وذلك عن طريق غرس النفور من المادة في نفس المتعاطي، وبإظهار عيوبها وما تجره علىٰ متعاطيها، وإبعاد فكرة الربط بينها

وبين السعادة والفرح والنضوج والرجولة والشخصية.

وبعد ذلك يبدأ العلاج النفسي الجماعي بالتقائه بمدمنين سابقين شُفوا وأصبحوا بصحة جيدة، كما يقوم الباحثون الاجتماعيون بمساعدة المعالج علىٰ تقويم وضعه، ودراسة الظروف التي ساعدت علىٰ الإدمان والعمل علىٰ معالجتها تربويًّا واقتصاديًّا، ووضع فرص حياة جديدة أمامه غير تعاطي شيء ما، ليكثر عنده الأمل ويقل اليأس.

من البرامج أيضًا التي يتعرض لها المدمن البرنامج الوقائي وهو متابعة الفرد الذي كان واقعًا تحت الأمر وتم علاجه، حتىٰ لا يقع مرة أخرىٰ، وهذه المتابعة تتم من قبل أهله وذويه.

٢- ابتعد عنهم:

وصيتي لك أن تقطع كل سبيل يوصلك إلىٰ هذه المعصية، وأخطر سبيل لا بدَّ من التخلص منه هو سبيل أصدقاء السوء الذين يدلونك علىٰ الشر وييسرونه لك ويشجعونك عليه ويلحون عليك للانغماس فيه، فحتىٰ يصح العلاج وتصح التوبة فلا بدَّ من فراق هؤلاء المفسدين.

فكيف بشاب يزعم أنه تاب من التدخين أو المخدرات ومازال علىٰ عهد بالصحبة التي أفسدته؟! لا بدَّ من الابتعاد عنهم،

ومصاحبة من هو خير منهم؛ ليعينوك علىٰ طاعة الله ويبعدوك عن المعاصي، فابتعد عنهم قبل أن يفوت الأوان، وتقول: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

وكم من شخص أقلع ثم عاد بعد فترة طويلة أو قصيرة بتأثير صديقٍ لحوحٍ، فغريزة التقليد في الإنسان، وضعف إرادة الكثيرين عن مخالفة الخلان، يمهدان السبيل لطاعة الشيطان[١].

٣- استبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى:

بعدما ابتعدت عن صحبة السوء ورفاق المعاصي فهلمَّ إلىٰ صحبة تدلك علىٰ الجنة وتأخذ بيديك إلىٰ صراط الله المستقيم؛ حيث تجد عليه النبي ﷺ يدعوك ليضع عنك إصرك وأغلال المعاصي التي كانت عليك.

تجلس معهم فيذكرونك بالله فيطمئن قلبك وتسكن جوارحك ويبتعد عن ذهنك ذكر أي معصية فهؤلاء هم الخير الوفير، ومن الخير أيضًا أن تشغل وقتك بكل ما ينفعك من قراءة العلوم النافعة وأداء العبادات كالذكر والصيام والصلاة وقراءة القرءان.

ولا يمنع من أن يكون لك وقت تمارس فيه رياضة تستعيد بها

---

(١) «فقه الأشربة وحدها» لعبد الوهاب الطويلة.

قوتك الجسدية فتكون قد جمعت بين الخيرين، قوة إيمانية وقوة جسدية، وتغلبت علىٰ فراغك ووجهت طاقتك إلىٰ ما يرضي الله ﷻ:

إِنَّ الـشَّـبَـابَ وَالـفَـرَاغَ وَالـجِـدَةَ
مَـفْـسَـدَةٌ لِـلـمَـرْءِ أَيَّ مَـفْـسَـدَةَ

٤- كن على حذر:

لقد أرسل لنا النبي ﷺ دواء شافيًا كافيًا لكل من أمرضته الذنوب والمعاصي ووقع في أسرها لا يستطيع الفكاك والخلاص منها، ألا وهو هادم اللذات، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»[1]، إنه الموت الذي يهدم كل لذة تعيشها حين يأتي بغتة، يأتي في أي زمان وفي أي مكان دون محاباة لأحد أو مجاملة، يحرمك من الطعام والشراب والأموال والنساء والأبناء وكل متع الدنيا، لكن تُرىٰ علىٰ أيِّ حالٍ يأتيك؟ هل يأتيك وأنت علىٰ طاعة الله أم سيأتيك وأنت غارق في المعاصي؟!

لذلك من كان ذاكرًا للموت عالمًا بأنه قد يفجؤه في أي لحظة

(١) رواه أحمد في «الزهد» (٨٩)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٩١).

كان بعيدًا كل البعد عن معصية الله، لأنه يكره أن يلقىٰ الله عاصيًا، فقد قيل في الأثر: «من عاش علىٰ شيء مات عليه ومن مات علىٰ شيء بُعث عليه» فكم رأينا شبابًا أو سمعنا عنهم منهم من مات وهو يتعاطىٰ مخدرات، ومنهم من مات وهو يشرب الخمر، ومنهم من مات بسبب التدخين.

فما جعل أحد الموت نصب عينيه إلا أقبل علىٰ طاعة الله استعدادًا للقائه وأدبر عن معصية الله خوفًا من عذابه سبحانه مهما كان تعلقه بها.



الخاتمة

وأخيرًا قد وصلنا إلىٰ لحظة الختام، وكان هذا ما أعاننا الله بفضله من استعراض للمعاصي التي يمر بها أغلب الشباب، سائلين الله أن تكون قد انتفعت فعلًا بعلاج المشكلات التي عرضناها إذا كنت مبتلىٰ بها، وإن كنت قد عافاك الله منها فاحذر من بواعثها التي ينصبها لك الشيطان وأعوانه لإغوائك، وأوصيك أن تحدث أصحابك وأقرباءك وكل من تعرف عن حكم هذه المعاصي لتنال حسن ثواب الدنيا والآخرة.

أتمنىٰ أخي قبل أن نفترق أن تكون قراءتك لهذا البحث ليست من باب الاطلاع علىٰ بعض المعلومات وفقط، بل نريد أن تكون قد استفدت استفادة فعلية بالتطبيق، لأن معرفتك وقراءتك في هذا البحث ما هي إلا زيادة في الحجة عليك فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾

[السجدة: ٢٢]، وإليك أيضًا هذه الحكمة: «ليس العلم أن تعرف المجهول . . ولكن . . . أن تستفيد من معرفته»[١].

وقبل أن ننتهي لنا بعض الإشارات:

شؤم المعاصي والذنوب:

يقول ابن القيم: «فمما ينبغي أن يُعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا بدَّ أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان علي اختلاف درجتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي»[٢].

فللمعاصي والذنوب شؤم وأثر سلبي علىٰ الإنسان في حياته ولنستعرض بعضها:

من آثار الذنوب والمعاصي[٣]:

١- حرمان العلم:

فإن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور:

(١) «هكذا علمتني الحياة» لمصطفىٰ السباعي (ص١٠-١٥).

(٢) «الداء والدواء» لابن القيم (ص٤٢).

(٣) «الداء والدواء» لابن القيم باختصار (ص٦٥-١١٤).

شَكَوْتُ إِلَىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَىٰ تَرْكِ المَعَاصِي
وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ
وَنُورُ اللهِ لاَ يُهْدَىٰ لِعَاصِي

٢- حرمان الرزق:

وكما أن تقوىٰ الله مجلبة للرزق، فترك التقوىٰ مجلبة للفقر: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[١].

٣- وحشة القلب:

وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، لا تقارنها لذة أصلًا، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها، لم تفِ بتلك الوحشة:

إِذَا كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ
فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ

٤- وحشة العباد:

الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير منهم فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٨٦)، وابن ماجه (٤٠٢٢).

منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان.

٥- تعسير أموره عليه:

تعسير أموره عليه، فلا يستوجبه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه أو متعسرًا عليه، وهذا كما أن من اتقىٰ الله جعل من أمره يسرًا، فمن عطل التقوىٰ جعل له من أمره عسرًا.

٦- ظلام القلب:

ظلمة يجدها في قلبه . . . فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته . . . قال عبد الله بن عباس: «إن الحسنات ضياء في الوجه ونور في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمةً في القلب ووهنًا في البدن ونقصًا في الرزق وبُغضةً في قلوب الخلق»[١].

٧- وهن القلب:

أن المعاصي توهن القلب والبدن.

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٣).

٨- حرمان الطاعة:

فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله (أي يكفي) وهذا لرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها.

٩- محق البركة من العمر:

المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته، فالحياة في الحقيقة حياة القلب وعمر الإنسان مدة حياته فليس عمره إلا أوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوىٰ والطاعة تزيد هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره.

١٠- المعاصي تزرع أمثالها:

المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

١١- ضعف إرادة التوبة:

وهو من أخوفها علىٰ العبد أنها تضعف القلب عن إرادته فتقوىٰ إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلىٰ أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية.

١٢- إلف المعصية:

أنه ينسلخ من القلب فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه.

١٣- الميراث الخبيث:

أن كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله ﷻ.

١٤- هان على ربه فعصاه:

المعصية سبب لهوان العبد علىٰ ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم.

١٥- ذل المعاصي:

المعصية تورث الذل ولا بدَّ فإن العز كل العز في طاعة الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠] أي: فليطلبها في طاعة الله ... وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ

وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ

وَخُيرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

١٦- طبع القلب:

إن الذنوب إذا تكاثرت طبع علىٰ قلب صاحبها، فكان من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

قال: هو الذنب بعد الذنب وقال الحسن: هو الذنب علىٰ الذنب حتىٰ يعمىٰ القلب.

١٧- قلوب لا تعظم العظيم:

أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بدَّ شاء أم أبىٰ ولم تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علىٰ معاصيه.

١٨- فماله من مكرم:

أن يرفع الله ﷻ مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم ويستخفون به ما هان عليه أمره واستخف به: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

١٩- أنساهم أنفسهم:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، وأعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه وإهماله لها وإضاعته حظها ونصيبها من الله.

٢٠- إزالة النعم:

إنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب . . . قال علي بن أبي طالب: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة»(١) وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

إِذَا كُـنْـتَ فِـي نِـعْـمَـةٍ فَـارْعَـهَـا
فَـإِنَّ الـذُّنُـوبَ تُـزِيـلُ الـنِّـعَـم
وَحُـطْـهَـا بِـطَـاعَـةِ رَبِّ الـعِـبَـادِ
فَـرَبُّ الـعِـبَـادِ سَـرِيـعُ الـنِّـقَـم

٢١- محق البركة:

تمحق بركة الدين والدنيا فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصىٰ الله، وما مُحقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق.

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٢٧٦).

أصل المعصية

يُعد الفراغ سببًا رئيسًا في الوقوع في شراك المعاصي، فالشاب في هذه الحالة يقع فريسة لشهواته ولشيطانه، كما أن الفراغ يسلب قيمة الحياة، (أما الإنسان حقًّا فهو الذي يعطي لحياته قيمةً ومعنًىٰ بأن يحدد لها رسالةً ورؤيةً وأهدافًا، يحقق من خلالها تلك الرؤية ويتمثل فيها بهذه الرسالة، فإن الحياة معناها أن تكون لدينا رسالة نؤديها، وفي تجافينا عن تحديد أهداف لحياتنا فإننا نفرغها من معناها، مما يؤول بنا في النهاية لحياة كحياة الأنعام نبحث عن شهوتنا وملذاتنا طيلة العمر ثم في النهاية يموت.

فشتان بين صاحب أهداف يحملها ويحيا من أجلها ويشعر بالمتعة في محل خطوة يخطوها نحو تحقيقها في الواقع، وبين من يحيا بلا هدف ولا يستشعر متعة الإنجاز ولذة الكفاح فيظل يبحث

عن متعة في مكالمة هاتفية وفي موقع إباحي أو في فيلم داعر، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار)[1].

فمرحلة الشباب هي أخصب مراحل عمرك وهي فترة الإنتاج، فاشغل وقتك لتضيف للبشرية وللدنيا، فكما يقول مصطفىٰ صادق الرافعي: «فإنك إن لم تزد شيئًا علىٰ الدنيا كنت أنت زائدًا عليها».



(١) «علىٰ خطىٰ يوسف الصديق» (ص٥٢).

العامل المشترك

من قراءة هذا البحث نجد فيه عوامل مشتركة في بواعث كل مشكلة ألا وهي صحبة السوء، فكم مرة ذكرنا أن سبب الوقوع في المعاصي هم من سماهم النبي ﷺ نافخي الكير (فمن صاحب رفقاء السوء، إن لم يشاركهم المعصية، فقد حمل رائحتهم التي تجعل المجتمع يحكم عليه أنه منهم، فإن الناس إن أرادت أن تعرف شخصًا عرفته من أصدقائه)[١].

كما أوضح رسول الله في حديثه: «. . . **ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[٢].

---

(١) «علاج أصدقاء السوء بالصحبة الطيبة» بتصرف لعبد القادر أبو طالب (ص٣٠).

(٢) رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

كما قال الله تعالىٰ في حق أصدقاء السوء: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال أيضًا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

في المقابل أثنىٰ سبحانه علىٰ صحبة الخير التي أُسست علىٰ تقوىٰ الله فجعل ثوابهم أنهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله . . . ورجلان تحابا في الله**»(١).

وها هو حبيبك ﷺ يوصيك بصحبة الأخيار فيقول: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا**»(٢).

وقد وضع الله لك أسس اختيار الصاحب في سورة الكهف وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، يوصيك سبحانه بإلزام نفسك بالصحبة الصالحة وعدم مصاحبة الغافل الذي

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥).

يتبع هواه ويملأ حياته بالمعاصي، فعليك بمصاحبة الأخيار الذين يأخذون بيديك إلىٰ الجنة.

أيضًا من العوامل المشتركة هي الإرادة والصبر، فكثير من الشباب ينتكس ويقع في شراك المعصية بعد أن يتوب منها وذلك لضعف إرادته وقلة صبره، فكما ذكرنا في بداية البحث أن الصبر والإرادة يطهران القلب من حب المعصية فقد قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، فعليك بالصبر وتقوىٰ الله فقد وعدك ألا يضيع أجرك وصبرك.



كن بطلًا

جاء في الحكمة: «كثيرًا ما يصنع الإنسان من أوهامه سجنًا يمنعه من الحركة والانطلاق»، فالعجب من شاب يتعلل بعدم قدرته علىٰ التوبة وتغيير نفسه!، ألا تعلم أن الله هو الذي خلقك وركبك؟! وأنه قادر علىٰ تطهير قلبك لو صحت توبتك؟! أما سمعت قول الله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فكن بطلًا أخي ودعك من أوهام تبرير العجز والكسل، كن بطلًا وتُب إلىٰ الله تعالىٰ وامتثل لأمره: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، كن بطلًا وعُدْ إلىٰ الله حتىٰ يفرح بتوبتك وتسعد الملائكة بك وتملأ صحيفتك بالحسنات وتغيظ الشيطان وتوسع قبرك يوم الممات.

ولكن إذا نويت التوبة فإن للتوبة شروطًا:

١- العزم على ترك الذنوب:

فهذا أول شرط من شروط التوبة النصوح فما معنىٰ التوبة عن المعاصي وهو غارق فيها؟! أو ما معنىٰ أن يقول العبد تبت إليك يا رب ومازال يذهب إلىٰ أماكن السوء وصحبة السوء؟!

فلا يتحقق هذا الشرط إلا أن يقلع العبد وينسلخ تمامًا من ذنبه، كما جاء في وصية إبراهيم بن أدهم: «من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة من كان يخالطه وإلا لم ينل ما يريده»[(١)].

ومن اللازم أن تكون نيتك في التوبة خالصة لله فلا تَتُبْ لخوف علىٰ صحتك أو لحرصك علىٰ إرضاء صاحبك، بل اجعلها خالصة لوجه الله فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

٢- الندم:

والشرط الثاني هو الندم فقد قال رسول الله ﷺ: «**الندم توبة**»[(٢)].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٨٩).

(٢) رواه أحمد (٣٥٦٨)، وابن ماجه (٤٢٥٢).

يندم علىٰ معصية الخالق الجليل، ويندم علىٰ ضياع عمره فيما لا فائدة فيه، ويندم علىٰ هوانه علىٰ ربه، ويندم علىٰ مقابلة نعم الله عليه بالإساءة، ويندم علىٰ تفريطه في الطاعات.

ومن الندم أن يغسل العبد قلبه بماء العين لكي يطهر من المعصية، ولذلك رغبك حبيبك ﷺ وقال: «**عينان لا تمسهما النار: منها: وعين بكت من خشية الله**»(١).

وإن لم تستطع أن تبكي فلتتكلف البكاء حتىٰ يرزقك الله تلك الدموع التي تصحح توبتك كما قال سيدنا أبو بكر: من استطاع أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فليتباك(٢).

٣- الاستغفار:

والشرط الثالث هو الاستغفار فقد شرعه الله لتكفير السيئات وطلب التوبة من رب الأرض والسماوات، فتجلس لتطلب المغفرة من الله كي يسامحك علىٰ ما أسلفت من ذنوب، وأنت واثق في أنه سيغفر لك، لأنه سبحانه وعدك بذلك فقال: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩) وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٣٤٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٦٣).

وقد كان النبي ﷺ يقول: «**يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله واستغفروه فإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[1].

تخيل أن النبي ﷺ يستغفر الله مائة مرة وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأولىٰ بي وبك أن نجعل لأنفسنا مقدارًا من الاستغفار في اليوم والليلة نطلب فيه من الله أن يتجاوز عما جنته أيدينا!

وإليك هذه الهدية أيضًا من النبي ﷺ حيث قال: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا ومن كل ضيقٍ مخرجًا**»[2].



(١) رواه أحمد (١٧٨٤٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٣١).

(٢) رواه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩).

اسلك طريق الطاعة

«لقد مللت من الحياة»، «الأيام مثل بعضها». . عبارات متكررة تصدر ممن حياته مليئة بالمعاصي . . ولا عجب في ذلك فقد قال الله تعالىٰ في حق من يعصيه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] فإن ما يُشعر به من لذة خادعة في المعاصي سرعان ما تنقلب إلىٰ شقاء وتعاسة.

السعادة الحقيقية التي يبحث عنها الشباب لا توجد إلا في طاعة الله فهو القائل سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وذلك لأن (في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال علىٰ الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا

السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه)[1].

فذُق حلاوة مناجاة الله في السَّحَرِ، ذُق هزيمة الشيطان، ذُق أن تكون في حضانة الصحبة الصالحة، ذُق أن تكون منارة تضيء لأصحاب الضلال طريق التوبة.

(لو عرفتم -يقصد الشباب- ربيع عمركم في عفة النفس وفي صون الشرف وفي طاعة ربكم بتربيته علىٰ الإسلام أداء لشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أنعم عليكم من نعمة الفتوة والشباب فسيبقىٰ ويدوم ذلك العهد معنىٰ وسيكون لكم وسيلة للفوز شبابًا دائمًا خالدًا في الجنة الخالدة)[2].



---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٥٦).

(٢) سعيد النورسي مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



تصحيح لُغوي: جهاد أبو زينة

إخراج فني: حسام الدين قاسم